



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حمه لخضر بالوادي



قسم: اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

الفضاء الصحراوي وتجلياته النفسية في رواية "الطرحان" لعبد الله كروم

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الدكتور:

أ.د. العيد حنكة

إعداد الطالبات:

✓ حنان كيرد

✓ زينة ذويب

✓ فوزية بلغيث

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. محمد عطالله	أستاذ محاضر - أ-	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيسا
أ.د. العيد حنكة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفا ومقررا
د. سمية صالح	أستاذ محاضر - أ-	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1444-1445 هـ / 2023-2024م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكركم ويعين قلوبنا

الحمد لله أولاً، والحمد لله آخراً، والحمد لله أبداً
اعترافاً بالفضل لأهله، وإحقاقاً للحق لذويه، فإنه لا يسعنا إلا
أن نتقدم بخالص شكرنا إلى كل من كان له فضل، كبر أم
صغر، بعد الله تعالى في إنجازنا لهذا البحث، ونخص بالذكر:
- إدارة كلية الآداب واللغات بجامعة الشهيد حمه لخضر.
- إدارة قسم اللغة والأدب العربي بذات الكلية.
- جميع أساتذتنا في السنة الثانية ماستر.
وشكر خاص للأستاذ الدكتور "علي كرباع" الذي اقترح
الموضوع.
أما الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور "العبد حنكة" فمهما قلنا
فيه، فسيظل تعبيرنا قاصراً عن شكره، وألسنتنا عاجزة عن
إيفائه حقه، فله منا كل الشكر والاحترام والتقدير.



تعد الرواية من الفنون الأدبية التي كانت ولا زالت حتى الآن محط اهتمام الباحثين والكتاب كونها جنسا أدبيا قائما بذاته، لقد غدت سبيلا للتعبير عن كل ما يجول في النفس البشرية ويختلجها، هذا من ناحية، وكونها ملحمة العصر الحديث من ناحية أخرى في إثباتها وبجدارة مكانة خاصة في الناحية الأدبية ومواكبتها لمجريات الواقع، فهي تجسد صورة الإنسان في صراعه مع الواقع والحياة، ومما أكد قدراتها على التجذر في الوعي الثقافي استقطابها لاهتمام القراء، فقد عرفت تطورا كبيرا وملحوظا، مما أدى إلى ظهور دراسات وأبحاث متخصصة في هذا المجال حيث خاضت الموضوعات والتوجهات الإنسانية فكانت كيانا أدبيا وفنيا، وقد استمدت قوتها عبر مسيرتها التاريخية من تجدد رؤى كتابها وتأثيرهم بالحياة، وتعدد موضوعاتها وتعلقها بمختلف الأماكن كالبحر والصحراء وغيرهما.

ومن هذا المنطلق، وبعد تأن طويل ومزيد من الاطلاع بدأت فكرة دراسة الرواية الجزائرية تراود أفكارنا، فاخترنا الصحراء لتكون موضوع بحثنا في الرواية الجزائرية باطلاعنا على رواية " الطرحان " فقد شكلت الصحراء موضوعا مهما باعتبارها امتدادا للكتابة الروائية. ولهذا دفعنا أهمية الموضوع لاستكشاف هذا البحث فوق اختيارنا على الرواية الجزائرية راوية " الطرحان " لعبد الله كروم فنتبعنا حضور فضاء الصحراء الجزائرية فيها، لذلك كان عنوان بحثنا: الفضاء الصحراوي وتجلياته النفسية في الرواية الجزائرية - لعبد الله كروم -

ومما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

أسباب ذاتية:

- ميولنا إلى جنس الرواية دون الأجناس الأدبية الأخرى.
- رغبتنا في التعرف على أعمال الروائي عبد الله كروم الروائي المعاصر.

أسباب موضوعية:

- محاولة إثراء المكتبة الجامعية ببحث أكاديمي جديد في مجال الدراسات الأدبية الحديثة والمعاصرة.

طبيعة الدراسة:

فرضت علينا الاعتماد على بعض المناهج ومن أهمها المنهج التاريخي ثم الثقافي في دراسة وتحليل العمل الروائي.

ومن هنا كان لابد من الوقوف عند مجموعة من التساؤلات كان من أهمها ما يلي:

- الإشكالية الرئيسية:
 - ماهي الصورة التي رسمها "عبد الله كروم" لصحرائه؟
- الإشكالية الفرعية:
 - أين تتجلى مظاهر الفضاء الصحراوي في الرواية؟
 - هل وقع الروائي سجيناً لبيئته؟

وقد اقتضت خطة البحث مقدمة، وفصلين، على النحو التالي:

- الفصل الأول:

وخصصناه للجزء النظري، حيث ذكرنا فيه مفهوم كل من الفضاء، والصحراء، وكذا الفضاء الصحراوي، ومفهوم كل من التجليات، والنفسية، بهدف الوقوف على ضبط تصور البحث من خلال الكلمات المفتاحية للعنوان، لنختتم الفصل النظري بلمحة عن نشأة الرواية الجزائرية وتطورها.

- الفصل الثاني:

أما الفصل الثاني فقد خصصناه للتطبيق على رواية الطرحان وتطرقنا فيه إلى مخلص الرواية محل الدراسة، مع وصفها الخارجي: (حجم، عدد الصفحات، دار النشر، سنة النشر.... وكذا ترجمة للمؤلف، وبعدها تناولنا زخم الفضاء الصحراوي في العمل الروائي الجزائري، ثم استخراج الفضاء الصحراوي والتجليات النفسية في الرواية.

وقد استندنا إلى بعض المصادر والمراجع على رأسها المدونة بوصفها محل الدراسة، فقد تناولنا مجموعة من الكتب التي أعانتنا كثيراً في إنجاز هذا العمل، وكان في جملتها دراسات سابقة، غير أنها لم تولِ الموضوع عناية كافية. ونذكر من هذه الدراسات:

- ✓ شعرية القضاء السردي لحسن نجمي.
- ✓ بنية الشكل الروائي لحسن الصحراوي.
- ✓ السياحة الصحراوية تنمية الصحراء في الوطن العربي لخليف مصطفى غرابية.

صعوبات الموضوع:

وكحال أي بحث، فقد اعترض سبيلنا في إنجاز هذا البحث مجموعة من العوائق أهمها:

- صعوبة التحكم في الموضوع.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور "العيد حنكة" على المجهودات التي بذلها من أجلنا، وعلى منحه لنا وقته وجهده وتوجيهه منذ كان البحث فكرة إلى هذه الصورة، دون أن ننسى أعضاء اللجنة من مشرفين ورؤساء على صبرهم ورحابة صدورهم، فلهم جزيل الشكر والامتنان.

الطالبات: حنان، زينة، فوزية

الوادي في 20 ماي 2024.

الفصل الأول

الجزء النظري

أولاً: مفهوم الفضاء

ثانياً: مفهوم الصحراء

ثالثاً: الفضاء الصحراوي

رابعاً: التجليات

خامساً: النفسية

سادساً: الرواية الجزائرية النشأة والتطور

أولاً: مفهوم الفضاء

مصطلح الفضاء من أهم المصطلحات التي اهتم بها الدارسون والباحثون وعدّوه من العناصر الأساسية للعمل الروائي، إلا أن ظهور هذا المصطلح في الدراسات الأدبية لم يكن إلا "حديثاً" بسبب انشغال الباحثين والنقاد واهتمامهم بعناصر أخرى.

لغة:

ورد في لسان العرب (مادة فضا) فُضًا يَفُضُو، أَفْضُ، فُضَاءً، فُضُوًّا، فهو فاضٍ، وقد فضا المكان وأفضى إذا اتسع، وأفضى فلان أي وصل إليه واصله أنه صار في فرجته وفضائه، وحيره الفضاء الساحة وما استوى من الأرض، ونقول: مكان مفضٍ أي واسع ونقول: المفضي المتسع¹.

وفي معجم الوسيط "فضا المكان - فضاءً وفضوا: اتسع وكلا وأفضى المكان: فضاءه-وفلان خرج إلى الفضاء وإلى فلان وصل الأمر به ويقال هذا الكلام يفضي إلى ذلك من النتائج².

وفي التنزيل العزيز قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ سورة النساء الآية 21.

اصطلاحاً:

يقصد بالفضاء "ذلك المعنى الذي شرحه ميشال بيتور الذي يبين أن الفضاء الروائي لا يمثل فقط. الإطار الجغرافي. أين يدور الحدث، بل يشمل أيضاً؟ الأشياء التي تصاحبه؟ يضاف إليها كل حركة ذات ترتيب فضائي، فالأثاث هو الأشياء، وتنقلات الشخص كل ذلك يعني أخذه بعين الاعتبار"³.

¹ أبو الفضل الدين محمد بن مكرم، منظور الإفريقي المصري-لسان العرب-، المجلد 15، ط4، 2005، دار البصائر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ص 157-158.

² مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص693.

³ مسعودة العريط، سردية الفضاء في الرواية النسائية المغاربية، ص 43.

ومن هو نجد أن الفضاء يتمتع بالاتساع والشمولية أي مفهوم الفضاء ويتسع ليشمل البيئة الطبيعية والصناعية يختلف الماضي ووظائفها¹.

ويضيف حسن نجمي مؤكداً ذلك بقوله: "إن الفضاء موجود على امتداد الخطاب السردى، إنه لا يغيب مطلقاً حتى لو كانت الرواية بلا أمكنة الفضاء حاضر في اللغة في التركيب في حركية الشخصيات وفي الإيقاع الشمالي لبنية النص الروائي"².

باعتبار الفضاء المكون الأساسي الذي تسري عليه الأحداث في الأعمال الروائية والمنظم لإحداثها وربطها مع بعضها البعض الذي لا يمكن الاستغناء عنه فهو حاضر من بداية النص إلى نهايته وفي السياق نفسه يقول حميد لحميداني: إن الفضاء في الرواية هو أوسع وأشمل من المكان أنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكى، سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر، أم تلك التي تدرك بالضرورة بطريقة ضمنية مع كل حركة حكاية³.

أما حسن بحرأوي فقد حصر مفهوم الفضاء وجعله في نظره مطابقاً للمكان في قوله: إن الفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء اللفظ بامتياز... أنه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب، ولذلك فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه ويحمله طابعا مطابقا... لمبدأ المكان نفسه⁴.

من خلال هذه التعريف وتعدد الرؤى لمصطلح الفضاء الذي لقي رواجاً من قبل الدراسات النقدية المعاصرة واعتباره العنصر الأساسي لمحل الواقع الأحداث والحركة قد وجدنا العديد من الدراسات يقسمون الفضاء إلى أربعة أقسام كالتالي:

¹ فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، دار العربية للعلوم الناشر، بيروت، ط1، 2010، ص 125.

² حسن نجمي، شعرية الفضاء السردى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2003، ص64.

³ حميد لحميداني، بنية النص السردى من منظور النقد العربي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط3، 2003، ص64.

⁴ حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص 27.

الفضاء الجغرافي: وهو مقابل لمفهوم المكان ويتولد عن طريق الحكي ذاته أنه المساحة التي يتحرك فيها الأبطال والشخصيات أو يفترض أنهم يتحركون.

الفضاء النصفي: وهو فضاء مكاني أيضا، غير أنه متعلق فقط بالمساحة التي تشغلها الكتابة (الصفحة أو الصفحات) الروائية أو الحكائية باعتبارها أحرف طباعية على مساحة الورق ضمن الأبعاد الثلاثة للكتاب¹.

الفضاء الدلالي: ويشير إلى الصورة التي تحملها لغة الحكي، وما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام.

الفضاء الروائي كمنظور: ويشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة الخشبة في المسرح².

ثانيا: مفهوم الصحراء

لغة:

لقد عرّف ابن المنظور في لسان العرب الصحراء بأنها "من الأرض المُستوية في لِينٍ وَغِلَظٍ دون الفُفِّ: وقيل: هي الفضاء الواسع، زاد ابن السّيدة: لا نبات فيه قال ابن شميل: الصَّحْرَاءُ م الأرض مثل ظهر الدابة الأجرّد ليس بها شجر ولا إكام ولا جبا مَلْسَاء يقال: صحراء بيّنة الصَّحْر والصُّحْرَة وأصْحَرَ المكانُ أي اتَّسع، وأصْحَرَ الرجل: نزل الصحراء، وأصْحَرَ القوم: برزوا في الصَّحْرَاءِ³.

يتضح لنا من خلال تعريف ابن منظور أنّ الصحراء هي الأرض المستوية وأنّها الفضاء الواسع ولا نبات فيه أي لا ينمو بها النباتات الا القليل، فقد شبهها بظهر الدابة الأجرّد لأنها لا توجد بها لا شجر ولا جبال.... وأصر القوم أي برزوا في الصحراء، وأصر الرجل نزل فيها.

¹ إبراهيم عباس، الرواية المغاربية، شكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي، الناشر دار كوكب العلوم، الجزائر، ط1، 2014، ص217.

² حميد حميداني، بنية النص السردي، ص 62.

³ ابن منظور: لسان العرب، مادة1، مج8، ط1، 2000، ص 202.

كما ورد في معجم الوسيط: صَحَرَ الطَّعَامَ صَحْرًا: طبخه، وصحرت الشمسُ فلانًا: آلمت دماغه.

(صحِر) صحراً، وصحرةً، أشرب لونه حمرة خفيفة، فهو أصحَرّ وهي صحراء (أصحِر) القوم: برزوا في الصحراء والمكان: اتسع، والأمر وبالأمر: أظهر (الصَّحَار): يقال أبرز له الأمر صحارا: جاهره به جهارًا، و(الصحراء): أرض فضاء واسعة فقيرة الماء¹.

نلاحظ من خلال هذا التعريف أن الصحراء أرض واسعة فقيرة من الماء أي أنها تكاد تنعدم من الماء بسبب ندرة الأمطار كما أنها تعبر عن الأمر بإظهاره وإبرازه ويكون جهارًا. كما جاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي: أن صحراء صحاري وصحاري وصحراوات وجاءت مشددة في قوله: "وقد أغدو على أشقر يجتاب الصحاريا"².

من خلال التعريفات اللغوية السابقة للصحراء يتضح لنا أن الصحراء هي أرض واسعة فقيرة من الماء لا نبات فيها، أي تنعدم فيها مظاهر الحياة، فهي تشير إلى الخواء والانعدام والتواجد لربما في بعض الواحات التي يصارع فيها الإنسان الطبيعية من أجل البقاء مستخدما كافة الوسائل المتاحة له.

اصطلاحا:

ليس من السهل وضع تعريف دقيق للصحراء، إنَّ أنسب التعريف لها هو التعريف الذي يعتمد على المعيارين: المناخي والنباتي، فهي إذا كل منطقة لا يسقط فيها من الأمطار أكثر من 250 ملم سنويا، وتخلو أو يندر بها النبات، وتمتاز بمناخها القاري ولذلك تقل فيها الحياة، فهي كثير من الأحيان الصحراء حارة نهارًا وباردة ليلا³.

نستخلص من التعريف أن الصحراء منطقة جغرافية فهي أرض جافة يسقط عليها قدر محدود من الأمطار وبالتالي لا ينمو فيها إلا القليل من النباتات فيكون فيها النبات

¹ إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية، ص 518.

² مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الكتاب العلمية، ط1، 2004.

³ خليف مصطفى غرابية، السياحة الصحراوية تنمية الصحراء في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2012، ص 20.

نادراً، لذلك تكاد تنعدم فيها الحياة، كما أن الصحراء يكون الجو فيها حاراً نهاراً بارداً ليلاً، وهذا ما يعرف بقاريّة المناخ، وبالتالي هذا التعريف نباتي لا مناخي.

"من الطريف أن تعلم أن الكلمة الإنجليزية التي معناها "صحراء" مشتقة من كلمة لاتينية قديمة معناها "مهجورة" وأن بعض الجهات الصحراوية على درجة عالية من الجفاف بحيث صارت مهجورة تماماً من الناس، وفي الصحاري أخذت يوجد أناس بحسبة واحدة أو اثنين لكل ميل مربع" نلاحظ من هذا التعريف أن كلمة الصحراء كلمه إنجليزية وهي مشتقة من كلمة لاتينية قديمة ويقصد بها في هذا التعريف بمهجورة أي خالية من البشر، في بعض الصحاري الأخرى تكاد أن تخلو من الناس والسبب الذي أدى إلى هجرة الناس منها هو الجفاف، وبالتالي فهي فقيرة من الماء، إن الصحراء أرض قاسية بمناخها قاحلة بطبيعتها فقيرة بإنتاجها الزراعي، ينظر إليها اليوم كجزء لا يتجزأ من تراثنا الطبيعي، وإن كانت الصحراء الفقيرة في إنتاجها المادي إلا أنها غنية بتراثها الثقافي بإنتاجها الرمزي، فهي دوماً أوسع فضاء¹.

يتبين لنا من خلال هذا التعريف أنه بالرغم من أن الصحراء أرض قاسية بمناخها قاحلة بطبيعتها فقيرة بإنتاجها الزراعي فإنه ينظر إليها اليوم كجزء لا يتجزأ من عالمنا الأرضي، بل هي تضم أجزاء مهمة من هذا العالم، وبالتالي فالصحراء جزء من تراثنا الطبيعي فإذا كانت الصحراء فقيرة في إنتاجها الزراعي والمادي، فإنه ينظر إليها على أنها غنية بتراثها الثقافي الرمزي فاذا الصحراء قاحلة جرداء فهي كانت دوماً أوسع فضاء للتأمل والتفكير، وكانت دوماً أفضل موطن للأساطير والأديان والاشعار.

إذن فالصحراء ليست ذلك الخلاء الموحش وذلك الفقر الدّاكن الموحى بالخطر وهي ليست ذلك المكان الجاف الفقير بإنتاجه الزراعي والمادي بل هي تلك البقعة الفردوسية الرائعة الغنية بموروثها الثقافي والأدبي والفني والإبداعي وحتى التراثي.

من خلال ما سبق ذكره من هذه التعريفات نستخلص أن الصحراء هي فضاء واسع وأرض جافة يسقط عليها قدر محدود من الأمطار، وبالتالي لا ينمو بها سوى نباتات محدودة ولا يعيش فيها سوى قليل من البشر والحيوانات، فهي أرض خالية من مظاهر الحياة إلى حد

¹ حسن المودن، الرواية وتحليل النصي قراءات في تحليل النفسي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009، ص 62.

كبير، وتشكّل الصحاري خمس مساحة الأرض وتتميّز أغلب صحاري العالم بمناخ حار جدا.

لقد وضع العرب للصحراء عددا من الأسماء في معاجم اللّغة المختلفة تلمح فيها صفات ومعاني الصحراء، ونلاحظ دلالتها التي تمتاز بها الصحراء عن غيرها من أنواع البقاع والأراضي، وهي في الأصل صفات ونعوت للأرض التي تتصف بصفات لا تخرج عن المعنى المفهوم للصحراء وما يدلّ عليها في مفهومها العام، وتدلّ كثرة أسماء الصحراء على الاحتفاء والتّقديس، وحبهم لها والفخر بها، واتساع فكر البدوي في استتباط المعاني والدلالات للشيء الواحد¹.

من صفات الصحراء ومسمياتها نجد:

البريّة: هي صحراء (ج) براري².

البسبس: وهو البر المرتفع الواسع والجمع البسابس³.

البلقع: البلقعة هي الأرض القفر التي لا شيء فيها من شجر ونحوه⁴.

البيداء: هي الفلاة والمغارة لا شيء بها، وسميت صحراء ببيداء لأنها تبيد سالكها والإبادة الإهلاك والجمع بيد وبيداوات⁵.

التيهاء: هي المغارة، يناه فيها أي يظلّ ولا يهتدي الطريق، والأرض ظلّة الواسعة لا أعلام فيها ولا جبال⁶.

¹ محمد صديق حسن عبد الوهاب: الصحراء في العصر الجاهلي، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، قسم الدراسات الأدبية واللغوية، 2018، 2017، ص 18.

² الفيروز أبادي: القاموس المحيط مادة (ب،ر،ر)، ص 86.

³ ابن منظور: لسان العرب، ج2، مادة بس، ص 86.

⁴ ابن منظور: لسان العرب، ج8، مادة (بلقع)، ص 21.

⁵ مجد الدين بن يعقوب الفيروز أبادي: قاموس المحيط، ج1، ص 385.

⁶ ابن منظور: لسان العرب، مادة (ت،ي،هـ)، ص 86.

السهب: وهي ما بعد من الأرض واستوى في طمأنينة وهي أجواف الأرض وبطنون الأرض تكون في الصحاري¹.

الفيفاء: وهي الصحراء الملساء، والمغارة لا ماء فيها، جمع فيافي².

القفر: وهو الخلاء من الأرض والمغارة لا ماء فيها ولا نبات³.

يتضح من خلال هذه الصفات والأسماء العديدة للصحراء أنّ العرب في القديم قد عنوا بالصحراء واهتموا بها اهتماما كبيرا لدرجة أنهم وضعوا هذه الأسماء والمفردات العديدة للصحراء، وهذه الأسماء كلها تدلّ وترمز لكلمة واحدة وهي الصحراء.

تعد الصحراء ذلك السحر الأسطوري الكامن من المخيال الجمعي للإنسانية عامة حيث تبرز الصحراء في الوعي، والمخيّلة جمعا للنقائض فهي تحتوي على سلسلة من الثنائيات المتضادة الحاملة لمجموعة القيم المختلفة والمتناقضة فهي ترمز إلى الحياة والموت، وإلى الاتساع والضيق، وإلى الغربة والتهميش وبذلك تكون منسجمة مع طبيعتها المتقلّبة في لا تسكن حيناً حتّى تثور، ولا ترضى لحظة حتّى تغضب، تفرح فيحوّل الكون إلى مسرح شعري رائع، وتغضب فيكون غضبها الهلاك والشقاء.

فالصحراء تعتبر محرّض من المحرضات روح المغامرة الإنسانية، وهي التي توسّع أفق التصوّر والمحفّز على الإبداع، وبالتالي فالصحراء مرتع فذ للخيال، وفضاء لا يضاهي لمسارات من السرد لا تنتهي، فقد ألهمت العديد من الشعراء والرائيين فهي بكلّ تجلياتها التأملية التي تحيل على الموروث الإبداعي، صاحبة الفضل على ديوان العرب هي البيئة المؤثرة، كما أنّها المادة الشعريّة الطّافحة بتفاصيل البيئة التي تقتصر على كونها معاشة بقدر ما هي غاوية تشكّل أسلوب جوهريا في الخلق والابتكار، محفّزا على اختراق المكان بالتجذر فيه.

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص 476.

² ابن منظور، لسان العرب، ج2، مادة(ف،ي،ف)، ص 319.

³ ابن منظور، لسان العرب، ج5، مادة(ق،ف،ر)، 110.

يختلف الإنسان عن غير من الكائنات، فهو لا يستسلم للطبيعة كما هي، بل يقاوم، لذلك نجد أماكن متعدّدة كالمدينة والصحراء لذلك لا نستطيع النظر إليها من زاوية واحدة، فالصحراء نقيض المدينة لأن المدينة غالباً ما ترتبط بالفضاء الواقعي المادي الفوضوي حيث نجد الصحراء عالم اللاواقع، عالم أسطوري روحي يؤمن بالأمل والتفاؤل والأساس لمنبع الإنسان لتمسّكه بالعادات والتقاليد: "الصحراء عمق ثقافي ومعتقدي لأبناء المنطقة العربية"¹.

أي أن الإنسان يستمد ثقافته وأصالته وحضارته من الصحراء، "فالصحراوي في بيئته الصحراوية سريع الغضب ثائر، متعصب، فإذا اسمع صوت مخيفا ينبعث في ظلمة الليل البهيم تخوّف المخاوف، وتصوّر التصاوير، وقد يرى في الشجرة شكل جنّية، وقد يتمثل كتب الرّمّل غولاً فاغراً فاه، ومن هذا الرّعب المسيطر على صحرائه المخيفة، ولدت فكرة الخرافات في رأسه"².

يتضح من خلال هذا القول أنّ الصحراوي سجين لواقعه المحدود ونجد أنّ نمط تفكيره مستمد من نمط معيشته.

فالصحراء قد فرضت نفسها على الإنسان ووجهت تدبير حياته في ظلها، كما وجّهت عملية الإبداع لديه حتى عدّها منبع الإلهام، ومثّلت مواقف ورؤى وجودية لا حصر لها، خاصة وأنها ارتبطت بمتخيّل ديني ضارب في القدم، ارتبط بالديانات السماوية واكتسحت عالم الأساطير، لتغدو الصحراء ذاتها رمزية أسطورية عميقة، تعبّر عن طوق الإنسان نحو المطلق، ورغبته في تجاوز الغامض والغريب وفهم عوالم الخوارق وما هو وراء الواقع وعمق التجارب الغامضة في الإنسان.

إنّ الصحراء جمالها ساحر وهوؤها نقي وما يزيد جمالها هي الكثبان الرّملية التي تبدو كرداء مهد حريري ذهبي، وامتدادها اللامحدود، بحيث إذا تجوّلت فيها يذهب عقلك إلى عالم الخيال من شساعة المكان وهدوئه، وأما غروب الشمس في الصحراء المتدرّج لونه من البرتقالي والأحمر فلوحة فنية من إبداع الخالق.

¹ صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2001، ص 14.

² مسعود خليل: الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، 1964، ص 64-65.

واسعة، رحيبة، ناعمة، ذهبية، هي تلك الصحراء التي تنبئ عبر رمالها ويحيرك مدى الأفق فيها، ليس لها حدود تقيدها، ولا أحجار تؤذيها، وتمسي والذهن صافٍ، والفكر منطلق، إذا تعبت فرشت لك رمالها ظلها الناعم، بنعومتها تستريح وتواصل السير، وتعطر أنفاسك بشذى الحرية والسلام وتحفظ بأثرك لأنك غصت في أعماقها، تخط بصفحاتها ما يجول بخاطرك بأناملك وعصائك.

إذا فالصحراء ليست ذلك الخلاء الموحش وذلك الفقر الداكن الموحى بالخطر، وهي ليس ذلك المكان الجاف الفقير بإنتاجه الزراعي والمادي، بل هي تلك البقعة الفردوسية الرائعة الغنية بموروثها الثقافي والأدبي والفني والإبداعي والتراثي.

ثالثاً: الفضاء الصحراوي

مما سبق من خلال سردنا للتعريف اللغوية والاصطلاحية للفضاء والصحراء نستنتج أنّ لفظ الصحراء يدل على التيه والفقر والجفاف حيث الحر والظمأ وأخطار التيه ولسعات العقارب والأفاعي، لكن لرمال الصحراء قصة ثغور في عمق التاريخ إذ يبدو أن كل فضاء صحراوي يخفي قصة فريدة، فالصحراء تشغل الوظائف الأساسية للأسطورة الروائية فهي غنية بتراثها الثقافي والأدبي والفني والإبداعي والتراثي، يقول M Roux: "تبقى القفار عذراء والجبل لا يقهر، والبحر جموحاً، لأنّ الثلاثة كل منها قد حافظ على نزاهة زمنه وفضائه، وعليه فإنّ فضاءها ينبسط على مد البصر، لا حدود له وزمنها لا يعرف الانتهاء، إنها نقيض الحضارة التي تنظم وتتحكم في مقولتي العالم المادي وتشكل فضاءات تعاليمية في غاية الجودة¹.

رابعاً: التجليات

يعد موضوع التّجلي من المواضيع الصّوفية التي تتخلل التجربة الصوفية، وهي التي لا تستوعبها اللغة الطبيعية ويبقى موضوع التّجلي من المواضيع المعرفية الدقيقة التي وجدت نفسها عند المتصوفة الفلاسفة الذين أسرفوا في الرّمزية إسرافاً إلى حد بدا معه كلامه غير مفهوم للغير.

¹M,Roux,op,Cit.

لغة:

نجد تعريف التّجلي في معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة أنه: تجلّى تجلّياً أي تكشّف، ظهر وبان، وتجلّيّة هي إيضاح وإظهار وجلاء¹ "والجلا جلوا وجلاء الأمر هو كشفه/ جلا عنه الهم: أذهبه وأزاله/ الأمر عنه: فرّجه عنه/ النهار المظلمة، كشفها، جلا، جلوا وجلاء القوم عن الوطن ومنه: ومنه نزحوا عنه من الخوف أو الجذب. "وجلاء الأمر هو: ظهر ووضح فهو جليّ الشيء: والجلا هو الأمر الواضح البين وجلاء مصدر جلا الأمر الواضح البين"²

وفي القرآن الكريم نجد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۗ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ الحشر الآية 3. وكلمة الجلاء تعني الخروج من الوطن في هذه الآية الكريمة، وتحليل محتويات التغيرات المعجمية لمصطلح التّجلي نجد أنّ التّجلي في اللّغة هو الانكشاف والإيضاح والبيان.

أما في معجم العين فإنّ التّجلي جاء: جلا (جلو)، جلا الصقيل السيّف جلاء، ممدود واجتل لنفسه قال لبيد:

جنوح الهالكي على يديه * مكبا يجتلي نقب النّضال.**

وتقول "جلا الله عنك المرض: أي كشفه، وجلّيت عن الزّمان، وعن الشيء، إذا كان مدفوناً فأظهرته... والله يجلي السّاعة أن يظهرها، الجلى مقصور الإثمد، لأنّه يجلو البصر، والجبهة الجلاء: الواسعة الحسنة والرّجل أجلى، والجلاد: أي يجلو قوم عن بلادهم يقال أجليناهم عن بلادهم فجلوا أي تحولوا وتركوها³.

بتحليل المحتويات التغيرات المعجمية في معجم العين نجد أنّ التّجلي هو الانكشاف والانتساع والتحوّل من شيء آخر، وهو ما ينكشف القلوب من أنوار الغيوب.

¹ يوسف محمد رضا، معجم اللغة العربية الكلاسيكية والمعاصرة، ط1، مكتبة لبنان، ناشرون لبنان، 2001، ص 320.

² المرجع نفسه، ص 477.

³ خليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين-الدكتور عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص256.

اصطلاحاً:

إنَّ المصطلح هاجر من معناه اللُّغوي إلى معناه الاصطلاحي، وأصبح يدل على التَّجلي عند الصوفيين وبالخصوص عند شيخ الصوفية محي الدين ابن عربي الذي يرى أنَّ التَّصوف ليس نكسا وزهداً وبعداً عن الحياة ومنها، بقدر ما هو -وقبل كل شيء- رؤية لله والعالم فهو نظرية تفسيرية للكون والإنسان فالتصوف أو العرفان كما يقرر المفكر محمد عابد الجابري " هو نظام المعرفة ومنهج في اكتساب المعرفة ورؤية للعالم وأيضاً موقف منه"¹. لكن المراجعة العابرة للقران الكريم تؤكد أنَّ علم التزكية الذي سمي فيما بعد بالتصوف". هو علم قرآني محض ورد ذكره تصريحاً وتلميحاً في كثير من الآيات القرآنية كقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ البقرة الآية 123.

وهنا يتضح أنَّ التصوف هو عمق الإسلام وجوهره، والتَّجلي هنا هو جوهر التصوف وعمقه، والتصوف هو أيضاً علم التزكية الوارد ذكره في الكثير من الآيات القرآنية وعلى الرِّغم من أن التَّجلي الإلهي عند شيخ الصوفية الأكبر محي الدين ابن عربي الحاتمي الأندلسي، "دائماً لا حجاب عليه ولكن لا يعرف أنه هو"² إلاَّ أنه يشرحه قائلاً: "التَّجلي عند القوم ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، وهو على مقامات مختلفة: فمنها ما يتعلق بأنوار المعاني المجردة من المعارف والأسرار، ومنها ما يتعلق بأنوار الطبيعة ومنها ما يتعلق بأنوار الرياح".

ولذلك فإنَّ التَّجلي ليس نوعاً واحداً عدنا عند ابن عربي، بل هو أنواع مختلفة، فهناك تجليات أنوار المعاني المجردة، وتتعلق بما هو غير جسيمي وهو تجلي لا يمكن تصويره أو علمه، ويتمثل تجلي النور الإلهي في النور الإنساني الذي تعلم به النفس ما قدمت وأخرت، وهي الأنوار التي تكشف تجليات الأنوار الإلهية في العالم.

¹ محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط8، بيروت، لبنان، 1995، ص 251.

² محي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، تصوير دار صادر، بيروت ع/ مطبعة بولاق، القاهرة 1293، ج4، ص256.

وعقيدة التجلي الصوفية يمكن التأسيس إليها من خلال الاستشهاد بقوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف الآية 143¹.

ومنطوق هذه الآية ومفهومها يقوم على تأكيد عقيدة تجلي الله سبحانه وتعالى إن كان واقعا، وباستعراض نماذج المفاهيم المعجمية يتضح أن الثقافة الإسلامية في موروثها قد تناولت التجلي بما ورد في الصحيحين:

في صحيح البخاري "كتاب الإيمان قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ سورة القيامة الآية 22-23. ثم يتجلى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا"².

في صحيح مسلم "كتاب الإيمان بأن أدنى أهل الجنة منزلة فيها، عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول من تنتظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا فيقول: أنا ربكم فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك"³ فتجربة الصوفي تحليلا للحق خلال أعيان الممكنات وأكبر مجل للحقيقة الإلهية في العالم، لهذا كلما حاول الصوفي الوصول إلى إدراك هذه الحقيقة الإلهية كلما احتجب الحق عن الخلق.

وهذا ما يزيد من حالة التوهج والشوق والاشتياق عند الصوفي الباحث عن تجليات الحقيقة الإلهية في العالم حيث قسم ابن عربي في التجليات إلى أربعة مراتب وهي:

¹ سورة الأعراف، الآية 143.

² محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير رواه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث 7727 وراه ابن القيم في زاد المعاد 1414-1993.

³ مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ط1 ج4، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء الكتب العربية عيسى الحلبي 1374، ص 454.

التجليات في عالم الخيال المطلق: وهي تجليات تتعلق بأسمى درجات الوجود بعد الذات الإلهية مباشرة التي تضم مجموعة الوسائط الأولى التي نسميها البرزخ الأعلى أو الوسط بين الذات الإلهية والعالم، لأن الحضرة الجبروتية التي تتوسط بين الذات الإلهية والعالم هي التجلي الأقدس من مرحلة الأحدية (الوحدة المطلقة) إلى مرحلة الوحدانية (الكثرة المتوحدة)¹.

التجليات في عالم الأمر: إنّ عالم الأمر هو ما وجد عن الحق من غير سبب ويطلق بإيذاء الملكوت يريد به عالم العقل الأول، ومن الواضح جداً أنّ التجليات في عالم الأمر توضح التصوف في مذهب الشيخ الأكبر القائل بوحدة الوجود، فهذا التجلي يضم المجموعة الثانية من مجموعة الوسائط، وهي التي تسمى بالعقول الكلية أو الأرواح الكلية المتجلية من المبدع الأول².

التجليات في عالم الخلق: يعتبر التجلي في عالم الخلق آخر المعقولات الموجودة في عالم الأمر، ويتمثل في العرش مستويات الأسماء المقيدة، وهي الأسماء المتعينة للظهور في حيلة الرحمان المتميزة على الأسماء المتأثرة في غيب العلم الإلهي الظاهر بالعينة التي ترجحت حجة مبدأ أمره وإلى غايته) الذي يعتبر في نظر ابن عربي أول صورته³.

التجليات في عالم الشهادة: يمكن أنّ نفهم عالم الشهادة كما يمثله ابن عربي في التصور الفلكي الدائري، فالأفلاك السبعة المقدرّة في فلك المنازل، هذا الفلك بدوره داخل الفلك الأقصى الذي يمثل دائرة ضعف داخل دائرة كروي، بمعنى أنّ العالم الشّهادة يمثل مجموعة التجليات في عالم الكون والفساد الذي توجد في مرتبه دنيا بالمقارنة مع ما سبقها من وسائط بالأفلاك المتحركة...⁴

وفي الأخير نستنتج أنّ عقيدة التجليات الصوفية لها تأصيل صلب داخل في النص القرآني أولاً وفي النص الحديثي ثانياً، ونرى أيضاً أنّ أكبر منظر لعقيدة التجلي هو الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي الحاتمي الأندلسي، حيث إنّ عقيدة التجلي هي التحقق بمقام

¹ نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن الكريم عند محي الدين ابن عربي، ط2، ج4، المركز الثقافي العربي، 2003، ص90.

² المرجع نفسه، ص 97.

³ نصر حامد أبو زيد: فلسفة التأويل، المرجع سابق، ص 113.

⁴ محي الدين ابن عربي: الفتوحات المكية، المرجع السابق، ج2، ص 415.

الربانية القرآني وهي أيضا الترجمة العملية الإجرائية لمقام الإحسان المذكور في القرآن الكريم والسنة النبوية وعقيدة التجلي هنا ترفض المفارقة، وتستحضر المعاينة بين الحق والخلق وتتطلق في بنيتها من قاعدة ما في الوجود إلا الله، ومن هنا نقول: إن عقيدة التجليات تحاول إطلاق الحق وتستريح الحقيقة.

خامسا: النفسية

لغة:

نجد تعريف النفسية في معجم اللغة العربية المعاصرة أنها "اسم مؤنث منسوب إلى النفس، الصحة، والنفسية ما يحل بالنفس من تأثر أو انفعال شديد، حرب نفسية: محاولة التأثير على المعنويات في أوقات الحرب، وهي مصدر صناعي من نفس مشاعر وسلوك وإحساسات وطريقة تصرف لدى الفرد والجماعة "ترك المعارك الحربية آثار النفسية سيئة عند الشعوب"¹ وذكر ابن منظور أن النفس هي الروح واعتبر ابن سيده أن بينهما فرقا، ومن معانيها ما دلّ على جملة الشيء وحقيقته أي على الإنسان كله بجانبه المادي والمعنوي، ويذكر كذلك ابن منظور أن لفظ النفس فيه معنى جملة الشيء وحقيقته، تقول قتل فلان نفسها وأهلك نفسه².

✓ النفس بمعنى الروح ويقال خرجت نفس فلان أي روحه.

✓ النفس بمعنى حقيقة الشيء، وجملته ويقال قتل فلان نفسه أي ذاته وجملته³.

✓ النفس الحسد والعين يقول: أصابته نفس أي عين والنفس بمعنى الدم، لأن النفس تخرج بخروجه⁴.

¹ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب بالقاهرة 1429، 2008.

² ابن منظور، لسان العرب، مادة النفس، ج2، ص 233.

³ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج7، ص 97.

⁴ الفيروز آبادي، بصائر ذوي التميز، ج5، ص97.

النفس ما يكون به التّمييز والعرب قد جعلت النفس التي يكون بها التّمييز نفسيين، وذلك أن النفس قد تأمره بالشيء وتنتهي عنه، وذلك عن الإقدام على أمر مكروه فجعلوا التي تؤمره نفسيا وجعلوا التي تنهاه كأنها نفس أخرى¹.

وجمع النَّفس أنفوس ونفوس أما النفس فهو خروج الهواء من الأنف، والفم وجمعه أنفاس وهو كالغذاء للنفس لأن بانقطاعه بطلانها².

يقول ابن منظور في النفس عن ابن منظور عن ابن خالويه: النفس، الروح والنفس ما يكون به التمييز فشاهدهما قوله تعالى "الله يتوفى الأنفس حين موتها" الزمر الآية 42.

فالنفس الأولى هي التي تزول بزوال الحياة والنفس الثانية التي تزول بزوال العقل.

اصطلاحاً:

النفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسماها الحكيم الروحي الحيوانية، فهي الجوهر المشرق للبدن، فعند الموت يقع ضوء على ظهر البدن وباطنه، وأما في وقت التّوّم فيقع على ظاهر البدن دون باطنه، فثبت أن التّوّم والموت من جنس واحد لأنّ الموت هو الانقطاع الكلي والتّوّم هو الانقطاع الناقص، فثبت أن القادر الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أضرب³.

ويقول الإمام الغزالي: عن النفس أنها مشتركة بين معنيين، أحدهما أنّه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة من الإنسان وهو الغالب على أهل التصوف لأنّهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة، والمعنى الثاني هي نفس الإنسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا أسكنت تحت الأمر وأذلها وأزليها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات، سميت النفس المطمئنة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ سورة الفجر الآية 27.

¹ المرجع نفسه، ابن منظور، ص 283.

² الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 557.

³ علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تعريفات، تح إبراهيم الأبياري، مصر، مطبعة دار الريان للتراث، 1938، ص 312.

سادسا: الرواية الجزائرية النشأة والتطور

إن الحديث عن نشأة الرواية الجزائرية يطول، ونحن في بحثنا هذا نحاول تسليط الضوء في الرواية الجزائرية المعاصرة التي حاولت أن تقدم وعي الطبقة المثقفة بالواقع كما حاولت أيضا أن تعطي تصورا للعلاقات الاجتماعية والثقافية في المجتمع، فهي ليست تصويرا فوتوغرافيا للواقع المعيشي إنما هي عالم متخيل ينتجه الروائي لأنه لا يقدم الحقيقة بل يطرح إيهاما بها، هذه الحقيقة التي تقوم على أزمنة فنية يلعب فيها الخيال دورا بارزا، وهنا يكون للروائي دور في تقديم الواقع والكيفية التي يراها لا تقف لصياغته.

وخلال تتبعنا لنشأة وتطور الرواية الجزائرية توقفنا عند حالة استثنائية في عوالم السرد بدءا برواية (الحمار الذهبي) الأبوليوس، وقد حاولنا تلخيص مراحل تطورها في نقاط التالية:

مرحلة السبعينات:

جاء الفكر الاشتراكي المطعم بالفكر الثوري وكان له أثره عن التجربة الروائية، فظهرت محاولات ظهرت محاولات مهمشة مثل (صوت الغرام) لمحمد منبج سنة 1967، أما البداية الحقيقية للرواية المكتوبة بالعربية ربح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقه سنة 1971، وبعد سنة ظهرت رواية (اللاز) للطاهر وطار (بطل هذه الرواية ليست شخصا بعينه، إنما هو الشعب بأكمله).

واتسمت معظم نصوصها بالطابع السياسي القائم على محاكمة التاريخ أو الواقع الراهن باللغة فنية جديدة¹.

مرحلة الثمانينات:

إن أحداث أكتوبر جعل الرواية تمتلك حساسية جديدة من الواقع وملاح هذا التميز ظهر في رواية (الجازية والدرابيش) سنة 1983 لعبد الحميد بن هدوقه، فتصالح في كتابته مع التراث ونقل النص السردي الجزائري إلى مصاف التجريب الفني دعوه لمن تخللت هويتهم، كما كتب الطاهر وطار نصا يتيما (تجربة العشق) سنة 1988، أما وسيني الأعرج

¹ واسيني الأعرج: الأصول التاريخية الواقعية الاشتراكية في الأدب الروائي الجزائري، ط1، دار الكتاب الحديث، 1988، ص65.

فقد تمرد روائيا وفكريا في روايته ما تبقى من سيرة لخضر حمروش) فوقف موقف الناقد للتاريخ (رائحة الكلب)¹.

مرحلة التسعينات:

كانت هذه المرحلة بوابة النار والنور لتجربة الروائية المعاصرة فسقط الروائيون دون قصد في فخ التسجيلية دون إبداع (مناهات ليل الفتنة) لحميدة عياش خير مثال في الوقت نفسه ظهرت روايات فائقة الجودة (ضمير الغائب) واسيني الاعرج ورواية (الليلة السابعة بعد الألف) (ورمل المايا)².

وما نستخلصه من مراحل التحول هذه التي عاشها المجتمع الجزائري وكيفية معالجتها لمختلف السياقات التي بلورت سيرورة تشكل هذا المجتمع، وهو الاختلاف الذي تميز بها مختلف تلك الروايات نظرا للتباين المراحل، مما يتيح لنا نحن القراء الوقوف على ارتجال جماليات الكتاب الروائية، باختيار العلاقة المتبادلة بين الرواية كإبداع، والمجتمع كمنظومة فاعلة ذات بنيات متنوعة³.

¹ برشوشة بن جمعة، السردية التجريب وحادثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، ط1، المطبعة المغاربية، تونس، 2005.

² عمر قنينة، " في الأدب الجزائري "، الجزائر بن عكنون، 1959، ص 198.

³ بوشوشة بن جمعة، المرجع سابق، ص 14.

الفصل الثاني: الجنب التطبيقي

مدخل:

المبحث الأول: تجليات الفضاء في الرواية

المبحث الثاني: تجليات الصحراء في الرواية

المبحث الثالث: التجليات النفسية في الرواية

المبحث الأول: تجليات الفضاء في الرواية

لا شك في أن للفضاء دلالات وأبعاداً مختلفة يعمل الروائي أن يبني عليها معماره الروائي، ويثري نسيجه الإبداعي بجملة من الفضاءات المتعددة والمتنوعة، من مبدأ أن الحيز المكاني في النص السردي هو الفضاء الذي تتحدد داخله مختلف المشاهد، والصور والمناظر والدلالات والرموز، التي تشكل العمود الفقري له، فهو مسرح الأحداث والهواجس التي تصفها الذاكرة التاريخية للحياة اليومية برموزها المتنوعة، ما دامت سيرورة النص سوى جزء من السيرورة الواقع المعاش، أما آليات المكان فما هي إلا وسيلة من الوسائل الرئيسية لرصد الواقع على مستوى السرد¹.

عند تناوله لرواية "الطرحان" لمستنا سلسلة اعترافات من فضاء متخيل وقد بينت فيها التنبؤ بأفاق الغد المشرق حيناً والهالك أحياناً أخرى.

وتعتبر الرواية في مجملها مزيج بين التاريخ والعلم والأسطورة والسياسة، في نوع من التكامل بين كافة هذه الحقول المعرفية، والمجالات العلمية من أجل إنتاج أدبي يمثل روح العولمة.

وبدا الكاتب "عبد الله كروم" متفائلاً بمستقبل الجزائر وهو يرى مساره منطقتة "توات" متجنزراً في معالمه وإيماءاته.

ولم يبق المكان في نظر الدارسين مجرد رقعة جغرافية فقد اكتشفوا جماليته الكامنة في الخبرة الإنسانية ونجد أولاً:

أولاً: الأماكن المفتوحة

الفضاء المكاني المفتوح هو فضاء الرواية حيث تدور الأحداث في بحور من الرمال القاحلة الممتدة بلا نهاية في كل اتجاه وتحت سماء واسعة وشمس حارقة، عالم اللانهائي يتسع فاغراً فمه كأنه يريد أن يبتلع كل شيء، وتبدو الأشياء والناس في هذا العالم ضئيلة ضعيفة تصارع لتبقى وربما تعكس، فالصحراء فضاء واسع رهيب يشعر الإنسان في مواجهته

¹ المكان في الرواية العربية، غالب هلسا عن كاتب الرواية واقع و آفاق، دار الرشد للطباعة والنشر، ط1، (د،ت)، بيروت،

بالخوف من هذا الاتساع الذي لا نهاية له، الفراغ يحاصره من كل مكان ويبعث في نفسه الإحساس بالمجهول الذي قد يباغته وأكثر الأماكن المفتوحة في الرواية كانت:

أحياء قرية توات: إذ تعتبر هذه الأحياء والشوارع أماكن انتقال ومرور نموذجية فهي التي شهدت حركة الشخصيات وشكلت مسرحاً عندما غادرت أماكن إقامتها أو عملها وأمدت الرواية بمادة غزيرة من الصور والمفاهيم التي ساعدت على تحديد السمات الأساسية التي تتصف بها قرية توات¹.

فشملت كل الفضاءات الفسيحة أو المكشوفة التي كانت فيها الحركة أكثر حرية بالإضافة إلى رقان أدرار وما وقع فيهما من أحداث وكذلك سبخة (مزرعة) كومر....

ثانياً: الأماكن المغلقة

وتشمل الفضاءات المتعلقة والضيقة وقد يرتبط المكان الضيق بالألفة والحماية التي تحسها في البيت وبالضجر والعدائية التي تفرض في السجن.

في الرواية يظهر البيت نموذجاً ملائماً لدراسة القيم اللائقة ومظاهر الحياة الداخلية التي تعيشها الشخصيات²، ويعتبر مغلقاً لأنه يسمح بالاختباء والاعتماد داخل مناكبه، فالسباعي كان يلجأ لممارسة يومياته بين ثلاثة بيوت، بيت الياقوت الذي كان يقصده بغية رؤيتها والاطمئنان عليها، وبيت الكولونيل جونسون قصد تلقي اللغة، وبيت توات أحوال الأهل، فانتقاله كان من بيئته محافظة وأخرى مختلفة في الانتماء والعادات والتقاليد.

ومجمل القول أن الفضاء الصحراوي هو كل مكان يتصف بالخصائص الصحراوية التي تتجلى في العمل الأدبي، فالفضاء الصحراوي هو كل فضاء أو مكان يوحى بالتيه والفقر والضياع والقسوة والجفاف والحر والظمأ ولسعات العقارب وصبر الجمال وخشونة الحلفاء، وهو ما يظهر في رواية "الطرحان" بكل ما تحمله من أحداث سردت بشخصيات مختلفة متكاملة فنية بثقافتها وأدائها الفني والإبداعي الموروث عن الأجداد.

¹ إبراهيم سعدي، بحث عن أمال الغبريني، ص 253.

² حسن بحراري، البنية والشكل الروائي، ص 43.

امتزج الفضاء الروائي هنا بين المفتوح والمغلق ليجسد البيئة المكانية في أدق صورة لها من خلال ما ذكر من أحداث وقعت وتزامنت في (سبخة عومر-سبخة التوهامي-البيدر(المخزن) والمخزن البراني-المقبرة-الفقارة(ساقية)-بشار-ووهران-حديقة المنزل).

وما استنتجناه أن الفضاء أوسع من المكان مما يعني هناك اختلافات في التسمية، فهناك من يذهب إلى كلمة المكان، وهناك من يذهب إلى كلمة فضاء والحيز، فالفضاء أوسع لأنه ينتقل إلى كل ما هو مكاني وجغرافي، في فضاء الصحراء عندما تقرأ لأي كاتب يدهشك من حيث الزوايا التي يتم تناولها، فالصحراء هي صحراء الهوية والمكان.

المبحث الثاني: تجليات الصحراء في الرواية

لقد اتخذ عبد الله كروم الصحراء فضاءً معمارياً وسنحاول بسط القول في روايته، ويمكن القول إن عوالم الصحراء برسومها ورموزها، وما يخلص بين رمالها وينكشف بين خيوط شمسها مثلت أيقونة استلهم منها الروائيون أحكامهم ورؤاهم وراحوا يتفننون بأقلامهم شطر عوالم الصحراء، فمدحوا جمالها وصفاتها، وهو ما نلمسه في روايته مفصلة في العناصر الآتية:

الإنسان: الإنسان هو محور النص السردي الروائي، وهو المحرك للأحداث والعنصر الفاعل في كل التصورات التي تحدث في المجتمع، ومن الشخصيات البارزة شخصية السباعي ولد النجوم-شخصية النعيمي-شخصية الياقوت...

الوصف: الوصف من العوامل المهمة في إبراز المكان وتحديده وهي لحظات متقطعة تتناوب في الظهور مع السرد، وإذا كان السرد يشكل أداة الحركة الزمنية في الحكاية فإن الوصف هو أداة تشكل صور للمكان، ولذلك يكون للرواية بعدان، أحدهما أفقي يشير إلى السيرورة الزمنية، والآخر عمودي يشير إلى المجال المكاني الذي تجرى فيه الأحداث، وعن طريق التحام السرد والوصف ينشأ فضاء الرواية¹.

فالوصف يعني نظاماً أو نسقا من الرموز والقواعد، ويستعمل لتمثيل العبارات وتصوير الشخصيات، أو مجموع العمليات التي يقوم بها المؤلف لتأسيس روايته الفنية.

¹ الحاج أحمد الصديق، روائي جزائري مولود في 19 ديسمبر 1967 بزواوية المقيلي، ولاية أدرار من أعماله التاريخ الثقافي لإقليم توات.

والوصف وسيلة من الوسائل التي يستعين بها الروائي في سرد الأحداث لكشف أحوال وهياة الشيء الموصوف، والوصف تقنية تقترن بأسلوب السرد الموضوعي وسرد الذاتي، كما أن الراوي يحدد بواسطتها الإطار الزماني والمكاني للحدث، وطبائع الشخصيات، وفي أسلوب السرد الذاتي يمتزج برؤى الشخصية، ويتناغم مع حالاتها النفسية¹.

تتطلق أحداث الرواية من اليوم الذي فرض فيه المستعمر الفرنسي الطرحان على السكان منطقة توات، ثم يأتي بعد ذلك الحديث عن الهجرة وتجنيد الشباب للحرب في الفيتنام، ثم انتقل الى الحياة العاطفية، وقد سرد في الرواية أوصاف حبيبته الياقوت.

وقد اتسمت طبيعة السرد في الرواية بالوصف الدقيق، والتوصيف كان هو السمة الغالبة في الرواية والسرد، فقد كانت التوصيف موجه للشخص.

أما لغة الرواية السردية فقد اتسمت بالروعة والتناسق والتناغم والتماسك والجمال، وقد تميزت اللّغة السردية بالانعتاق والانفتاح والتحرر والأريحية من القيود.

واتضحت رموز الصحراء في الرواية:

التمر (النخلة): رمز الصمود والشموخ والصبر عند أهل توات (النخلة هنا هي الحياة، وهي سرد الوجود بل هي الوجود للوجود، والفناء للفناء، من حازها اغتنى، ومن أهملها افقر، هي الثابت في الصحراء وغيرها المتغير، تجدها في بستانك وقد أطعمت أجدادك، وقد ترحل عنها لتطعم أحفادك، فالنخلة شيء مقدس عندهم لها مكانتها وقيمتها في حياتهم.

الجراد: رمز على الجوع والفقر فإذا ما على الجراد سماء توات فهو نذير شؤم بقدم الجوع والفقر لقربتهم.

البومة: نذير شؤم وكانت تسمى محليا موكة (الخطر الثاني هو طائر اليوم ونسميه (موحة) وهو كاسر يستهدف عيوننا، أو هكذا أوصتني أمي...²

¹ الفضاء الروائي في الغربية، ص 25.

² عبد الله كروم-الطرحان-منشورات الوطن، 2023، الجزائر، 74، 104.

المنزل الكبير: الذي يعيش فيه الجد، وهو رمز على التمسك والإشارة إلى التضامن عندما خسر أملاكه بقانون الطرحان وانتقل للعيش مع صديقه بعد وفاة جده وقيام أعمامه بأخذ التركة.

الجد: رمز التمسك والاتحاد والقوة.

الزمان: هو وقت الثورة الفرنسية والاحتلال الفرنسي للجزائر تزامنا مع الثورة الفرنسية ضد الفيتنام.

إن الصحراء مهدئ نفس له ميزاته التي تفرض على الروائيين الحديث عنه، وعلى لسان الكاتب نفسه وفي حوار مع جريدة¹ الحوار "أشار إلى معالم الصحراء في روايته، حيث قال: الصحراء وهي الهوية ولهذا السبب وظفت التراث المادي واللامادي لمنطقة توات (المغارة- المخطوط القصبة- النخلة هذا الرفيق الدائم على الصناعات التقليدية) أما التراث اللامادي لمنطقة توات (العادات والتقاليد في توبر في دخول الشتاء- يناير - الأساطير- الأحاجي وكنت محظوظا أنني من آخر ذلك الجيل الذي تعلم السرد على موقد النار، وكان بيتنا القديم مطليا بالدخان.

أبرزت الهوية المكانية للصحراء لسكانها الذي تعلموا منها الصبر والتواضع، هذا الإنسان الذي صنع حضارة الطين والماء قهره الحر والصحراء بصمتها وسحرها وفتنة تاريخها، وبقسوة جغرافيتها، ولكنه تعلم منها الصبر والتواضع¹.

ومجمل القول أن أبناء الصحراء الذين تفتنوا لوعي الكتابة عن مكان يعرفونه أكثر من غيرهم، فاهتموا على اختلاف توجهاتهم بمتخيل الصحراء ووظفوا جمالياته في أجساد نصوصهم بدءاً من عتبة العنوان، ومروراً بالشخصيات والأحداث والتوظيف المشهدي، وصولاً إلى لغة المكان وتفاصيل تفاصيله بأقلام العارفين من أبناء المكان².

¹ جريدة الحوار، 28 أغسطس 2022.

² من مقال: حضور الصحراء في الرواية الجزائرية، الاحتفاء بالإنسان على ذرات الرمل لحמיד عبد القادر، 29 أبريل

المبحث الثالث: التجليات النفسية في الرواية

إن قارئ هذه الرواية إذا تعمق في تحليل أحداثها ومجرياتها يتجلى له الجانب النفسي الذي رسم الحبكة بكل تفاصيلها وربط بين فصولها وأبرز الفضاء الصحراوي الذي نتجت منه، ومن خلال تحليلنا الشخصي فإنها متجليات النفسية هي:

1- **الوحدة والتماسك:** تظهر عند قراءة عبارة (تكلم عمي لخضر في المجمع، ثم أتبعه عمي الفضيل، وأكد أن ابن أخيهما السباعي، أي أنا، وكذا أمي، وأختي النابرة، كلنا جزء من عائلة الكعوعي الواحدة والموحدة، وأنهما لنا أن يتخليا عني وعن أمي، وسنظل أسرة واحدة كما تركنا الجد)¹. فالتماسك جليٌّ هنا عند أفراد العائلة، أما عند قراءة عبارة (أحسست بشيء من الجوع، فتحسست ثلاثة تمرات (تادامت) التي أعطتها لي أمي، أكلت واحدة وأخذت نواتها ودفنتها في التراب، وجلبت من البئر المجاور سطلا من الماء وسقيتها، وأذريت التراب حولها)² فتدرك مدى تماسك أهل توات بأهمهم الأرض.

فالوحدة والتماسك عموما من شخصيات الرواية سواء عند الأطفال الصغار أو عند الأصدقاء الثلاث وهم يرتشفون الشاي، وعند عائلة السباعي ولد النجوم عندما طردت من بيت الجد وخسرانهم لممتلكاتهم بفعل "الطرحان" وذهابهم للعيش جميعا في بيت صديقه.

2- **العزلة:** ظهرت معالم العزلة في ثنايا هذه الرواية عند قراءة عبارة (قصنتنا يا سادتنا - قرية منسية بين حروف التاريخ وتضاريس الجغرافيا، فالتاريخ استثنائها وسقطت من سجلاته، لأن التاريخ يكتبه الأقوياء فقط، وقرينتنا طواها الزمن وغمها الهزال، فجفت عن حكاياتها الأقلام، وكذلك فعلت معها الجغرافيا التي لهت بها كثيرا، وغمت على رسومها المندرسة، ولم تحفظ لها وجودا حتى ركنتها في زوايا النسيان، وحتى ذلك السفر (نقل الرواة فيمن أبداع قصور توات الطينية، وحفر فقاراتها، وبنى قصباتها المعتقد، وحكى عن إنسانها الأول، ولم ينقل لنا خبرا فيما روى عن قصور توات، ولم يكتب لنا عن تاريخها سطرًا، ولخطر ما جرى بها من محن جعلت غراب البين يعشش في جحور أسوارها³، فالعزلة قد جعلت من القصة

¹ عبد الله كروم-الطرحان-منشورات الوطن 2023، الجزائر، ص 46.

² المرجع نفسه، ص 183.

³ المرجع نفسه، ص 31.

مقبرة للأحياء (قبل أن تكتشفوا قصبة مدفونة بين الرمال يسكنها أحياء، يستقبلك الأموات أولاً، وفي ذلك علامة على ارتباطنا بالموت أكثر من الحياة، كأنا المعنيون بمقالة بنيامين الكاتب: (دع الأموات يدفنون موتاهم)¹ وما يؤكد أن العزلة كانت شديدة، وأدخلت القرية في ظلام حالك لا ترى بصيصاً للنور عند قراءة عبارة (القصبة الهادئة كانت لها حروبها الخاصة بها، فلم تكن تعرف أن العالم دخل في حرب كونية للمرة الثانية)² فللعزلة سلبياتها الوخيمة على مدى دفاعهم عن حقوقهم المسلوبة.

3- الفطنة والذكاء: لا يخفى على أحد ومنذ أزمان أن أهل البادية والصحراء يتصفون بالفطنة والذكاء وهذا راجع للطبيعة المفتوحة التي ألهمتهم هذه الميزة عن سواهم، وعن سرعة حفظهم واستيعابهم لكل ما هو مسموع من تراث ورواية وحكم وقراءة (أمرني جدي أن أسمع القرآن كاملاً في أسبوع، فبدأت كل يوم أقرأ عليه كثرة أحزاب، خمسة أحزاب في الصباح، وأخرى في العشية)³.

والفطنة تتضح أكثر عند قراءة عبارة (قرأ لي بعض الأبيات من شعره، أخرجت كراستي ودونتها عليها، فرأى جمال خطي، فانبهر به، وسألني: أين تعلمت الخط؟)⁴ فالخط ورغم صعوبة تعلمه إلا أن أهل توات أتقنوه في وقت وجيز على يد كبار القرية.

وعند قراءة عبارة (شرعت نادين تعلمني الفرنسية من الصفر، وقد بدأتني بالحروف الأبجدية ثم الأصوات، وغالباً ما تنهي درسها بالحروف الأبجدية ثم الأصوات، وغالباً ما تنهي درسها ببعض المحفوظات، ولما رأيت في الإقبال على التعلم، كثفت من نشاطاتها)⁵ ندرك أن أهل الصحراء كانت لديهم قابلية عالية وإدارة على تعلم اللغة الفرنسية والانفتاح على العالم رغم ظروف عيشهم وما يكابدونه من مشاق الحياة ومنغصاتها وضغوطاتها.

¹ عبد الله كروم-الطرحان-منشورات الوطن، 2023، الجزائر، ص 31.

² المرجع نفسه، ص 38.

³ المرجع نفسه، ص 36.

⁴ المرجع نفسه، ص 36.

⁵ المرجع نفسه، ص 156.

فأهل الصحراء لهم سرعة البرق في الحفظ والاستيعاب وهذا ما قرأته نادين عند السباعي (اكتشفت نادين حدة حافظتي منذ الوهلة الأولى، فما كادت تقرأ النص وتضعه بين يدي حتى حفظته في سرعة أدهشتها، ودون حتى أن أعرف المعنى والنطق الصحيح أحيانا، بدأت معارفي في الفرنسية تزداد، ومعجمي فيها ينمو، ومساري نحو اكتسابها يشق طريقا سهلا، أنا الذي لم أكن أعرف منها سوى كلمات الشكر وتحيات الصباح والمساء)¹.

ومجمل القول هنا أن أهل التواب يتميزون بحدة الذكاء وصفاء القريحة وسرعة الحفظ.

4- العدوانية: طغت العدوانية بأشكالها وسلبياتها وآثارها المسمومة على أفراد البيئة الصحراوية بجميع أطيافهم ومراحلهم العمرية بحكم أنها سلوك يتصل بالشخصية والنفسية ويكبر معها فعند قراءة عبارة (ولما خرجنا من الكتاب قلت لبازا، لقد رأيتك بأم عيني فقال: وما تحسبه فاعلا، أما سمعت القوال في عناء الشلالي يقول: (والنيف مساوي الغالية مرسومة لبنات مهلكة الطالب وما خلاتو يصلّي الأوقات)².

فهذه تعبر عن العدوانية عند الأطفال الصغار، أما عند كبار السن فقد لمسناها في عبارة (فلما ظفر بي أشبعني ضربا رأيت فيه النجوم في وضح النهار، أردت أن أفلت من ضربات موجعات، ارتطمت رأسي بحجارة ناتئة في حائط، فشجّت أعلى جبیني، وسال دم غزير مني، وتركني غارقا في دمائي)³ فهذه أشد الصور قساوة في العداء، وردة الفعل في العداء وعدم التسامح تحت أي ظرف نلمسها في عبارة (ليأتي رد أبي قاسيا عليّ وعلى أمي، التي طالبها بتسكير فمها وعدم الدخول بينه وبين أخيه، وانتهى الأمر)⁴.

(أوصت بذلك لتبرد أسناني وفق زعمها ومعتقداتها، وما أسرته في نفسها ولم تبده قولاً هو الحد من غلواء أسناني حتى لا يصل أذاها بناتها)⁵.

¹ عبد الله كروم-الطرحان-منشورات الوطن، 2023، الجزائر، ص157.

² المرجع نفسه، ص102.

³ المرجع نفسه، ص102.

⁴ المرجع نفسه، ص 102.

⁵ المرجع نفسه، ص 103.

مسك الطالب قلوب عساه، وانها على ضربا على اليمين وعلى الشمال، فلم يقبل توسلاتي (بكل وسيلة استرحام، ولم يثنه عن عقابي ما أخبرته من إنصاف عمي للمعضوضة، ألاجاني للفلقة ووجدت نفسي أرفع رجلا وأنا مكسور خاطر، وسامني سوء الضرب حتى لا أعود حسب زعمه للاعتداء على أحد آخر يكون قد خرج لتوه من الكتاب)¹ فتظهر هنا محاولات لكبح العدوانية لكن الظاهر أنها شيء صعب وليس بالسهل إحاطته وإخماده والتقليل من حدته وتضييق رقعة انتشاره، وتظهر حدة القسوة وفي قوله انقضت عليها انقضا الكواسر على فرائسها، ومسكتها من يدها، وبكل جهدي غزرت أسناني في معصمها، ويبدو أن الغصة تسمرت قوية وتركت أسناني أمارة في ذراعها، وصرخت صرخة عظيمة حسبت أن تروحها تكاد تتخلع من جسدها² فهذا يعبر عن شراسة القسوة عند الأطفال، فالأطفال لم يعيشوا طفولتهم، ولم ينالوا حظهم من اللعب والترفيه والترويح عن النفس والاستمتاع بالحياة عندما كانوا لا يحملون هما، بل وجدوا أنفسهم عائلين لأسرهم، وهو ما جعلهم أقوياء البنية مكشرين عن أنيابهم في الحياة لأنها في نظرهم قاسية وصعبة وتحتاج إلى هذه المواجهة وهذه الروح العدائية في (أحيان كثيرة شعرت بأنني أقوى رجل في العالم، والحقيقة هي أنني وهبت قوة جسمانية فارقة، وعضلات مفتولة)³.

فمبدأ العمل ثم العمل هو شعار الأطفال لإيجاد مكان في هذه الحياة والتغلب على صعابها وتذليل الحواجز (لكنني نظرت عضلاتي المفتولة، وأشرت إلى جيبني لأقول: (هذا ما جناه العرق، ولا شيء غير العرق) أو بفضل (العمل العمل)⁴.

والقسوة لا تنسى ولا تمحى من الذاكرة (وأمعنت النظر في معصمها، وتفحمت مارة عضتي به، (وهذه آثار المسموم وشم في معصمي).

وتفحصت جيبني الأيمن أتلمس مارة الشريحة، وصرخت فيها (وهذا أثر حقك وعدالتك)⁵ والقسوة عندهم تكتسب من خلال عاداتهم وطقوسهم منذ الصغر كأكل العقرب من

¹ عبد الله كروم-الطرحان-منشورات الوطن، 2023، الجزائر، ص 103.

² المرجع نفسه، ص 102.

³ المرجع نفسه، ص 146.

⁴ المرجع نفسه، ص 147.

⁵ المرجع نفسه، ص 64.

من أجل الحصول على القوة العظمى والترفع عن الهزيمة (يوم أكلت إبرة العقرب لأصير مسموما)¹.

5- التمسك بالعادات والتقاليد

إن المجتمع التواتي مجتمع متمسك بكل تقاليده الموروثة دون الخوض فيها، بل يراها مسلمة لا نقاش ولا جدال فيها، فمنها ما كانت محمودة ومنها ما مانت عكس ذلك. (اجتروا من النحلة أكلات مثل (تاغنجا)، وقطروا من رأسها شرابا مثل (اللاقي) والجائع يتفنن في ابتكار مسارب الأكل، ويرفع من حاسة الشم لديه ليقدر على شم رائحة الطعام من أميال بعيدة)².

فالنخلة عندهم رمز مقدس، وإذا جاء الشتاء يبس التمر، نزع الناس من عرجونة القديم، ثم يدق بعضه بالمهراس حتى يصير سفوفا، فيوضع في حاظفة من سعف النخل، تسمى (التدارة)، لها قاع أسطواني وغطاء كالقمح، يحفظ السفوف ويقري بها الضيف إن جاء، وبعض التمر اليابس الباقي يرقد في مطمورة، ليؤكل في باقي أيام السنة)³ فهذه عاداتهم خلال فصل الشتاء والتي يتمسكون بها.

لم يجترح الناس الأكلات من النخلة فقط، ولكنهم وسعوا خيالهم ليجمعوا من المزروعات سبعة سبعة، ليحدثوا أكله (توق توق) فلم تعد أوراق الجزر والبصل ترمى، بل تجمع مع الحلبة والقصبر والغريم، وتقطع معها سيقان القمح والشعير، وفي حال عدم اكتمال العدد سبعة، فإنه يكمل ولو كان من سعف النخل، ثم تجمع فتهرش لتؤكل، ومن لم يجد في تحضير أكلة (توق توق) المزروعات السالفة، فإنه يجد في الأرض متسعا لكل الأعشاب، ويجمع منها سبعة ثم يأكلها ليسد الجوع⁴ فهذه أيضا تقليد يعملون على التمسك به جيدا في مأكولاتهم.

¹ عبد الله كروم-الطرحان-منشورات الوطن، 2023، الجزائر، ص12.

² المرجع نفسه، ص40.

³ المرجع نفسه، ص41.

⁴ المرجع نفسه، ص41.

(وأظل مع بازا وعمي الفضيل نتقاسم أعياء البستنة وصيانة الفقارة، وحمل روث الغنم إلى البساتين، أي ستقطع الصلة بالمدرسة الطاهرية والعودة للفلاحة والعيش ليلا مع بازا في المخزن البراني)¹ فهذا التقليد في المشاركة في الأعمال الفلاحية هو موروث عندهم ويحافظون عليه.

6- الاعتراز بالانتماء:

ما يعرف عن المجتمع الصحراوي عامة والمجتمع التواتي خاصة هو المحافظة والتمسك بالهوية الثقافية ونلمس هذا التمسك عندما عبر عنه كاتب الرواية بقوله (كرة "أشكوه" أجري مع أصدقائي وراء كرة ممنوعة من ليف النخيل نتقاذفها بالعصي، ونتعارك فيها تماما كما يحدث في لعبة الرقبي الأمريكية، غير أننا حفاة، بلا واق للوجه، ويخوضها كل واحد منا بسرور عربي فضفاض، قد حشر فيه عبادته، وتحزم بشاشة في الوسط)² فهنا يبرز الألعاب الشعبية عن أهل توات وجانبا من لباسهم التقليدي، أما في عبارة (دخول الشتاء بتوات فرح عائلي واجتماعي عهد ذلك بجلب الحكايا الجميلة، والأحاديث المستملحة ومعه ترتسم حلقات الأنس والسرد والكاوكاو (القول السوداني) وبخور أم الناس، ليكون حرزا من الأم السابعة الأسطورية التي لم أرها هي وأشباح الشرفة لحد الآن)³ فهو يصف الحياة اليومية التي يعيشها السكان في القرية والتي تمثل عندهم معتقدات مستمدة من الخرافات فبنوا عنها هويتهم الثقافية، فاستقبال الشتاء بطقوس معينة تتمثل في حلقات الإنس والكاكاو المعطرة ببخور "أم الناس" ليكون حرزا من الأم السابعة الأسطورية، كما الديك عندهم فال خير يتبركون به (فالديك على دين الأسلاف، ملائكي يجلب السعد، ويدفع النحس)⁴ فجعلوا الديك مع بخور "أم الناس" ثنائية تستعمل في فصل الشتاء من أجل التقرب للأم السابعة حتى تخفف عنهم من قسوته، أما من جانب الأعداد فقد كانوا يربطوه التقاؤل بالعدد 7، ويربطون التشاؤم باللغة بالعدد 6.

¹ عبد الله كروم-الطرحان-منشورات الوطن، 2023، الجزائر، ص41.

² المرجع نفسه، ص54.

³ المرجع نفسه، ص76.

⁴ المرجع نفسه، ص76.

وقد سمي السباعي بهذا الاسم لأنه ولد اليوم السابع تيمنا بهذا العدد، أما النعيمي تلاحقه لعند العدد 6، ويظهر تمسك المجتمع التواتي بهويته الدينية الإسلامية والتراثية في العبارات المجسدة (أدركت من كتابات جدي أن تاريخ الفتنة بيننا وقبيلة النعيمي ضارب في القدم، إذا بعد الحادثة سيد الحاج المأمون مع الشريف النعيمي، دعا كل واحد منهما على الآخر، ليحدد نصيب سعدنا العدد سبعة، ونصيب شقائنا العدد ستة، وعلى عكسنا تماما النعيمي الذي يسعد بالسداسيات ويشتى بالسياسيات، والله في خلقه شؤون)¹ وهذا ما يعبر عن قمة التعصب والانتماء للمعتقد والدفاع عنه والتطير بكل ما هو مختلف عنه. (وكانت أمي قد أوصتني بوضع الأكياس على سباعية أو خماسية، وتفادي تصنيف الأكياس سداسية مهما كان الحال)² فهنا التطير والتشاؤم والنحس من العدد 6، والابتعاد عنه قدر المستطاع لتجنب اللعنة والخسارة.

(منحني جدي شاشا وبرزوسا أبيضين، ومدحني في نشوة: لأنك حمرت وجهي بين الناس، وحفظت دون غيرك من أقرانك أنت ولدي العزيز)³ فهذا تشجيع على الحفاظ في وسط العائلة.

وجاء اليوم الموعود والدنيا كلها لا تسعني من الغبطة، اغتسلت وتطيبت فيه، وجهزت لي أمي حقيبة، فيها القندورة والشاش وسروال عربي، كلها بلون الثلج ومكحلة ومرودها، وقنينة عكر، وقبل خروجي ختمتني بنحلة من فضة)⁴ وهذا التنافس محمود لأنهم يشجعون الأبناء على الحفاظ والاهتمام بالباسم اللباس المميز والحلل من التراث.

7_ الصفاء والطيبة:

يتميز أهل الصحراء بالنقاء وصفاء القلب والطيبة والكرم والجود، وما يؤكد هذا عند أهل توات في عبارة (أنا عندما يختم التلميذ السلكة أي القران كله، فإنه يتوجب عليه إكرام زملائه والناس الحاضرين للاحتفال بالتمر واللبن، وإن كان الزمن غير زمان التمر الطازج،

¹ عبد الله كروم-الطرحان-منشورات الوطن، 2023، الجزائر، ص95.

² المرجع نفسه، ص88.

³ المرجع نفسه، ص113.

⁴ المرجع نفسه، ص114.

أبدل مكانه سفوفا، وهو تمر يابس مكسر، ثم يمنح الطالب مكربة فاخرة، فيها تمر وشعير وما تيسر من الدراهم، أما المرحلة التي ينبت فيها الربيع على صدر الطالب فهو يوم يبلغ التلميذ الكمال والتمام فيصير حافظا للقران، يومها يأخذ من عائلة الحافظ وحدها كبسا وشكارة من القمح، وشكارة من تمر (تنفور)، وإن لم توجد فلا تعد تمر (يناصر)، وهما من أجود أنواع التمور، ويزيد على ذلك نصيبه مما يجمعه الحافظ في حفل التكريم عندما تدور (الربعية) وهي في الأصل إناء مجسم رباعي أو قريب فيه مخصص لحفظ السكر، تفرد في يوم الحفظ لتملاها أيدي المتبرعين والمالحين بأغلى ما يملكون، وبعدها يحسب مبلغها ثم يقسم مناصفة بين الطالب والحافظ¹، فهذا يعبر عن قمة الكرم والطيبة عند أهل توات خاصة والصحراء عامة رغم ظروف المعيشة القاسية، أما الثقة في الآخرين وحسن الظن بهم وإعطاء للطالب مكانته الرفيعة فتظهر في عبارة (وشاع بيننا ونحن في الكتاب وبتوجيه من والدنا أن موضع ضربة الطالب لا تأكلها النار، فقربته مقدسة، يتمناها الآباء لأبنائهم² وشهادة الغير فيك صادقة وفخر لك فهذا ما أكده صاحب شركة في توات عندما قال إنه يرغب في إدخال عمال من المنطقة لأنهم طيبون ونقل لرغبة الشركة في إدخال العمال خصوصا القادمين من مدن الهامش، لأنهم طيبون، وهي كلمة عندما تسمعها في وصفك راجع تصرفاتك ومواقفك على الفور، فقد تبدو مغفلا، سريع الوقوع في الفخاخ، مربع النصابين، قد تعني أنك ساذج بلا معرفه لحقوقك، بل قد تعني ما هو أفدح، أي أنك باب للغباء مشرع³) فالطيبة هنا قد تضعهم في فخ يصعب الخروج منه لأنهم لا يعرفون حقوقهم وكيف يدافعون عنها، والطيبة عندهم تلزمهم بالاعتذار حتى عن أخطاء الصغر لأنهم لا يريدون أن يبقى في قلب أحد حقد عليهم ويسارعون بكل جهد لصفاء القلوب (وختمها بأنني كنت في صغري كثير الشغب وكانت فرصة لأجدد له اعتذاري على الوشاية الكاذبة وأن أذكره بغصتها في حلقي كلما استرجعت تفاصيلها⁴).

¹ عبد الله كروم-الطرحان-منشورات الوطن، 2023، الجزائر، ص98.

² المرجع نفسه، ص162.

³ المرجع نفسه، ص166.

⁴ المرجع نفسه، ص35.

8_ التكافل الاجتماعي

إن التكافل الاجتماعي ميزة يتميز بها أهل الصحراء في غيرهم، فهم السباقون في التضامن مع الفقراء والمحتاجين وموانسة الحزين والرفق بالمهموم. (وكان على صلة معهم، يزورهم كل عام مرة، ويلتقي بالشيخ سيدي أحمد ديدي، عالم تمنطيط والقطر التواتي ومرجعها في الفقه والفتوى، وفي زيارة جدي يدارسه ويراجعه في مسائل فقهية كثيرة)¹، فهذا يدل على التواصل مع الشيوخ الفقه والفتوى للوصول إلى أفضل سبل التكافل والتآزر والتعاون لتحقيق الأفضل والأنسب (اتفقت مع بازا على التآزر في العمل، وتفاهمنا على اعتماد النظام الجديد في الدراسة، أي الانتقال من العمل مقابل الأكل والإيواء إلى نظام الخماسة، وهو أن يكون له الخمس في كل ما تخرجه السبخة من زرع وخراج وثمار، فرح بازا فرحا شديدا، وسبت الربيع على صدر أمه زائدة، فصدقت الصفقة بولولة بلغت حدّ السيّاخ)² وهنا تكافل اجتماعي وصلت ذروته إلى حد المال الشخصي ومشاركته مع الآخرين للرفع من مستوى معيشتهم وتحقيق طبقة اجتماعية أفضل والحد من الفقر.

ويبقى التكافل قائما حتى بعد وفاة كبير العائلة لأنه سلوك متجذر في النفس، وهو طبيعي وغير مصطنع يزول يزاول الأسباب (بعد مرور أسبوعين من وفاة جدي، نادى علي عمي لخضر، أنا وأمي، وبحضور عمي الفضيل في المخزن البراني وأبلغنا أنهما لن يتخليا عنا، ونحن معهما سواء في كل ما تركه لنا الجد، وعلى إعانتها في استصلاح الأرض والانقطاع للفلاحة) فالانتماء الأسري رابط مقدس عندهم، فليس من السهل تفكيكه (كلنا جزء من عائلة الكعوي الواحدة والموحدة، وأنهما لن يتخليا عنه وعن أمي، وسنظل أسرة واحدة)³ علينا أن نعيش بعده كما تركنا في حياته عائلة واحدة متماسكة⁴.

والتكافل الاجتماعي لم يكن ماديا فقط من خلال التعاون والترابط بإنجاز الأعمال والاشتراك في كل حدث يقع بينهم خيرا أم شرا، بل منه ما كان معنويا يتجسد في الاحترام

¹ عبد الله كروم-الطرحان-منشورات الوطن، 2023، الجزائر، ص55.

² المرجع نفسه، ص57.

³ المرجع نفسه، ص46.

⁴ المرجع نفسه، ص45.

الذي يـكنه الأفراد لبعضهم البعض حتى عند قساوة الفعل (تعقبتني عمي بعدما ربط حماره في مربطه، حتى أدركني بعد أن وشى بي الواشون من أصدقائي، أحدهم بازا، كان عمي قد رأى أمارات الغصة، فاستشاط غضبه، واستصحب معه عصا الحمار اليابسة، فلما ظفر بي أشبعني ضرباً رأيت فيه النجوم في وضح النهار ليأتي رد أبي قاسيا عليّ وعلى أمي، التي طالبا بتسكير فمها وعدم الدخول بينه وبين أخيه، وكل ما فعله هو أنه ضرب ابنه وليس ابن أخيه، وانتهى الأمر)¹، وتتجلى صورة التعاون أكثر عندهم حتى في الأعمال التي تتطلب مجهوداً كثيراً (أتعاون على فلاحه أرضها مع الخمّاس بازا، الرجل القوي والعارف بخبايا الزراعة والحراثة)² (نزلت مع بازا وأمه زائدة لسبخه عومر، بدأنا نصيح ونطرد الجراد)³.

أما دليل الكرم وحسن استقبال الضيف فهي أصيل سكان الصحراء والتي لا تخفى على أحد ويفردون بها دون غيرهم (وفي الصباح زودنا القائد بمد من التمر لكل واحد منا)⁴.

واققسام لقمة العيش بينهم في ضرب آخر من التكافل الذي يعطي صورة رائعة عن اتحادهم والأخذ ببعضهم البعض حتى في أسوأ الحالات وأضيّق أيام العيش (وصرنا ننزل نحن الأربعة إلى الجنان، أنا وأمّي وبازا وأمه، وثلثنا بنا أختي بعد خروجها من الكتاب ونجتمع على غذاء واحدة كل يوم، تطهى في الجنان على الحطب، لأن ضيق العيش يلاحق بطوننا)⁵.

9_ الصبر وقوة التحمل:

إن الصبر وقوة التحمل لدى أهل البادية والصحراء مستمد من النخلة التي تأبى الخضوع بحث عن الماء فقد يكلفها العطش حياتها ولكنها تموت شامخة في السماء (فالنخلة هي الثابت وغيرها من المتحول).

¹ عبد الله كروم-الطرحان-منشورات الوطن، 2023، الجزائر، ص102.

² المرجع نفسه، ص82.

³ المرجع نفسه، ص85.

⁴ المرجع نفسه، ص139.

⁵ المرجع نفسه، ص57.

فشهر أكتوبر يتميز بكثرة الأعمال الفلاحية عندهم مما يصيبهم بالتعب الشديد والإرهاق وبينهم سهرات الليالي (في أيام توبر أي أكتوبر لا نستطيع السهر طويلاً لكثرة التعب نهار، وهو ما يجعلنا نستسلم للنعاس باكراً في الليل، حيث نعود للبيت بعد المغرب مرهقين، ويكون الجسد مثخناً بنفخ الأيدي والوخز والكدمات والجروح التي تسببها أنات الوجع)¹ والتعب والإرهاق عادة عندهم يتبعهم الكتمان وعدم الفضفضة في النفس وهذا طبيعة عندهم وليس تمنع ويرجع إلى قوة التحمل وقوة الشخصية في مواجهة مصاعب الحياة، فالفضفضة هي من سمات الضعفاء عندهم وكان العام الأخير من الحرب العالمية الثانية شديداً، وإن لم يكن أشد من سوابقه، وحتم علينا استمرار النقشف وضاعفنا من أعمالنا لتحسين لقمة العيش، وتعاهدنا على بذل ما في الجهد من وسع، وأن ننزع كل بقعة من سبخة عومر المترامية الحواف، وتسقى المزروعات صباحاً ومساءً، وأن تبق الأسرار بيننا في غيابات الكتمان)².

ولم تستثنِ النساء من الأعمال الصعبة، فالمرأة الصحراوية مع الرجل في جميع المهام، فهي قوية في حد ذاتها وتجاهه الحياة بكل مخاطرها (الياقوت تنقل الغبار على أتان بيضاء سريعة بينما أنقله أنا على الشاب).

إن العمل الدائم والمتواصل وعدم سماع كلام النفس لإعطائها حقها المشروع في الراحة، جعلهم ينهون أغلب الأعمال الفلاحية في وقت وجيز جداً، وهو شهر أكتوبر وهذا وقت خيالي إذا ما قارناه بصعوبة الأعمال (من شهر أكتوبر سريعاً، وما كاد ينتهي حتى حرث بازا البستان كله، وحملت أنا إليه عرم الغبار، وتهياً لنا أن نزرع فيه القمح والشعير والذرة والكاكاو والتبع، وانكفاً بازا يتعهد به بالرعاية، ويسقى الحرث بلهات الرغبة وشغاف الشوق وسعار النشوة) ولا ينتهي الشقاء بانتهاء شهر أكتوبر، بل يحل الشتاء عندهم بمصاعب أخرى وجب عليهم القيام بها لأنها من التزاماتهم اليومية والاحتمية (ذهب أكتوبر وشقاؤه، وعادت الحياة الطبيعية إلى سابق عهدها، بدأنا نستعد للشتاء وأيامها والتحضير ليوم دخوله، ومنه أن يذهب الفتيان والفتيات في قافلة لجلب الملح) (سابقتي بالحديث عن رحلتنا

¹ عبد الله كروم-الطرحان-منشورات الوطن، 2023، الجزائر، ص58.

² المرجع نفسه، ص59.

لجلب الملح في البياضة البعيدة، وعن طول الطريق ووحشها، وعن مغامرات وقصصها التي تروي في مضارب النخل والطين)¹.

(بمسحة من الحماسة أبلغت أمي عزمي على رحلة الملح فبادرت لتحذيري من التيه والضياع في مجاهل الدروب الوعرة بصحراء البياضة)² فرغم مخاطر جلب الملح الذي قد يعرض حياتهم للخطر إلا أنهم يتحمسون له، وهذا راجع لنفسيتهم القائمة على الصبر وقوة التحمل.

وصعوبة لقمة العيش في الصحراء أدت بالأطفال للتخلي عن حلمهم في التعليم، والاكتفاء بالنيل بالبسيط منه، كتفكيك الحروف لأنهم مطالبون بإعالة عائلاتهم، لا بالنظر لأنفسهم وإعطائها حقها في التعليم والثقافة (منذ أن تركني أبي الدهاجي لقم الجوع في عام الغلاء وهمل في نواحي وهران، وفرط في أنام أمي زيدة بنت الملوخوت، انقطعت في الكتاب بعدما فككت فيه الحروف، وتعلمت مبادئ الدين، وحفظت شيئاً من القرآن، ولكن الحاجة إلى لقمة العيش، جعلتني أتهرب من الكتاب باكراً)³.

الصبر والتحمل في صعوبة مسالك الطرق الصحراوية الطويلة والموحشة حيث لا حجر ولا شجر (فاضطررنا للمشي على أرجلنا مسافة عشرين كيلومترا، قاصدين بلدة زاوية كنتة، التي ينتابها عند قائدها في درب الشرفاء، وفي الصباح زودنا القائد يمد من التمر لكل واحد منا، واتجهنا نحو الطريق الشرقي)⁴ وعادة عندهم ما يكون بالرغم من العمل الشاق المقابل المادي ضئيلا جدا، وهذا بسبب توفر اليد العاملة (عملت مع الحساني عند أحد التجار من القواسمة مقابل الأكل وبضعة فرنكات).

(وأجبر البسطاء مثلي على العمل فيه لمدة ثماني ساعات وبأجرة زهيدة)⁵ ورغم الأجر الزهيد فإنه لا توجد حماية من المخاطر عند أرباب العمل فليس هناك ما يسمى

¹ عبد الله كروم-الطرحان-منشورات الوطن، 2023، الجزائر، ص65.

² المرجع نفسه، ص65.

³ المرجع نفسه، ص138.

⁴ المرجع نفسه، ص139.

⁵ المرجع نفسه، ص141.

بحقوق العامل عندهم فهم دروع بشرية، وحياتهم ومماتهم وإعاقتهم سواء، وإن تجرأ وطالب بحقوقه فإن مآله الطرد القاسي (بعد تفجير المتفجرات في المنجم تهاوت علينا صخور ضخمة، مات فيها بعض العمال، تراكمت على صخرة، وضغطت بقوة على فخذي، بعد سلسلة من المحاولات لإنقاذي الذي طال مدة، استطاع رجال الإنقاذ رفعي من تحت الردم والكدية العملاقة، شعرت أنني لا أقوى على المشي، وبعد الفحص في المستشفى تبين كسرها، لكنه كسر لا يجبر معه الجسد إلا ببتير ساقي اليمنى، لأعيش حياة النكد والتخلي وضم الحقوق)¹.

والصبر عند أعظم المصائب وهي الموت فلا ضجر ولا صراخ ولا عويل إذا ما تلقى أحدهم موت أحد أقاربه وهو في الغربية (ويكل برودة أسمعني ما وراءها "لقد ماتت، والسلام" وعندك عطلة لمدة ثلاث أيام، في الحقيقة كنت منذ خمسة أشهر أنتظر بين الفينة والأخرى تعيها)².

وعند تجنيد الشباب في حرب الفيتنام أظهر الشباب الصحراوي قوة صبره وتحمله للأذى والعنف (إذا بجندي فينتامي يضع حذاءه على يدي، وضربني الآخر بعقب رجله خلف رقبتني بخفة جنونية حد سقوطي، وبسرعة البرق أمسكا بي، أمراني بوضع يدي فوق رأسي، جرنني الأول ومشى الآخر مشهرا سلاحه خلفي، طالبا مني الإسراع في الركض³ هذا حتى كنت مريضا (كنت أعاني من رضوض في رجلي، ولا أقوى على الجري، وطلبت من أحدهما الذي يتكلم فرنسية مكسرة أن يرحماني لأن رجلي مكسورة، لكنهما لم يعبأ بي)⁴.

أما صبرهم على الغربية وهجر الأهل والديار والحنين إلى الوطن والشوق له فهو شيء آخر، ليس بالسهل على الآخرين تحمله (مدينتي أريد هواءك، لقد اختنقت، أريد أرضك فقد مللت القحط، أريد ماءك فقد قهرني العطش، أريد الأزهار فقد أعياني النبات الشوكي، أريد الأطيبار فقد مللت الغربان تتصاعد ناحية في الحاري القاسية)⁵.

¹ عبد الله كروم-الطرحان-منشورات الوطن، 2023، الجزائر، ص139.

² المرجع نفسه، ص146.

³ المرجع نفسه، ص200.

⁴ المرجع نفسه، ص201.

⁵ المرجع نفسه، ص171.

خاتمة

بعد دراستنا لنموذج من الرواية الجزائرية الصحراوية الحديثة والمعاصرة "رواية الطرحان" نصل إلى خاتمة هذا البحث سائلين من الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد في تحليلنا الشخصي لهذه الرواية.

ركز بحثنا هذا واقتصر على دراسة الفضاء الصحراوي وتجلياته النفسية، وقد تطرقنا في الجزء النظري منه إلى التعريفات اللغوية والاصطلاحية لعناصر هذا البحث لتقريب المعنى للقارئ وتحديد أقرب للمفهوم لكل من: الفضاء-الصحراء-والفضاء-الصحراوي (المكان الصحراوي) -التجليات(الصوفية)-النفسية.

أما الجزء التطبيقي فقد تطرقنا إلى التجليات النفسية وعلاقتها بالفضاء الصحراوي في رواية "الطرحان".

وتبين لنا أن الفضاء كان له دور فعال في عناصر السرد الذي ساهم في تشكيل وبناء الرواية وإرساء معالمها.

وأهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة كانت متعلقة بالجزء التطبيقي وهي مختصرة في النقاط التالية:

- _ الفضاء الصحراوي هو المحرك للبنية السردية داخل الرواية.
- _ أثر الفضاء الصحراوي لرواية الطرحان في إعطاء مساحة واسعة ملأت الأماكن والعناصر الصحراوية.
- _ قساوة وجفاف الفضاء الصحراوي كان لها تجليات نفسية لازمت الشخصيات الروائية.
- _ الوحدة والتماسك -العزلة-الفتنة والذكاء-القسوة-التمسك بالعادات والتقاليد -الاعتزاز بالانتماء-الصفاء والطيبة-التكافل الاجتماعي-الصبر وقوة التحمل.
- _ سيطرة الفضاء المكاني على الخطاب الروائي سواء كان فضاء مغلق أو مفتوح وهذا ما أضفى دلالات عميقة في البنية السردية.
- _ اعتمد عبد الله كروم فضاء الاتساع لأنه هو بجد ذاته صحراوي ويعيش ويتنفس فضاء الصحراء اللامتناهي.

_ تبدو لنا بعض الأسماء الشخصية حقيقية لارتباطها الوثيق بالفضاء الصحراوي وانعكاس تجلياته النفسية عليها.

_ التجليات النفسية المستتبهة من الشخصيات عادة ما تكون مقتصرة على الرجل الصحراوي دون غيره وهي التي شكلت وبدور كبير هوية المجتمع الجزائري.

_ فضاء الصحراء وتجلياته النفسية علاقة مرتبطة بالزمن والشخصية وكذا اللغة، فهي علاقة مقدسة.

وختاماً لهذا الجهد المتواضع الذي أبرزنا فيه ورصدنا الفضاء الصحراوي وتجلياته النفسية في رواية الطرحان والكشف عن دلالاتها وشرح معانيها، ليجدر بنا الإشارة إلى هذا البحث كسائر البحوث يعتره النقص الذي نأمل إلى تصحيحه وتفاديه في قادم الأبحاث إن شاء الله مما يجعل باب البحث في هذا المجال مفتوحاً لدراسات أخرى.

قائمة المصادر

والمراد جمع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

أولاً: المصادر

1. عبد الله كروم-الطرحان-منشورات الوطن، 2023، الجزائر.

ثانياً: القواميس والمعاجم

2. إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية.

3. أبو الفضل الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري-لسان العرب-،
المجلد 15، ط4، 2005، دار البصائر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

4. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب بالقاهرة 1429
، 2008.

5. خليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين-الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب
العلمية، بيروت، لبنان، ج1.

6. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الكتاب العلمية،
ط1، 2004.

7. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.

8. يوسف محمد رضا، معجم اللغة العربية الكلاسيكية والمعاصرة، ط1، مكتبة لبنان،
ناشرون لبنان، 2001.

ثالثاً: المراجع

9. إبراهيم سعدي، بحث عن أمال الغبريني.

10. إبراهيم عباس، الرواية المغاربية، شكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي، الناشر دار كوكب العلوم، الجزائر، ط1، 2014.
11. أبو حامد بن محمد الغزالي، احياء علوم الدين، دار مصر للطباعة، 1998، ج02.
12. برشوشة بن جمعة، السردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، ط1، المطبعة المغاربية، تونس، 2005.
13. حسن المودن، الرواية وتحليل النصي قراءات في تحليل النفسي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009.
14. حسن النجمي، شعرية الفضاء السردية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2003.
15. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.
16. حميد لحميداني، بنية النص السردية من منظور النقد العربي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط3، 2003.
17. خليف مصطفى غرابية، السياحة الصحراوية تنمية الصحراء في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2012.
18. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن.
19. صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2001.
20. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تعريفات، تح إبراهيم الأبياري، مصر، مطبعة دار الريان للتراث، 1938.
21. عمر قتيبة، " في الأدب الجزائري "، الجزائر بن عكنون، 1959، ص 198.
22. فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، دار العربية للعلوم الناشر، بيروت، ط1، 2010.

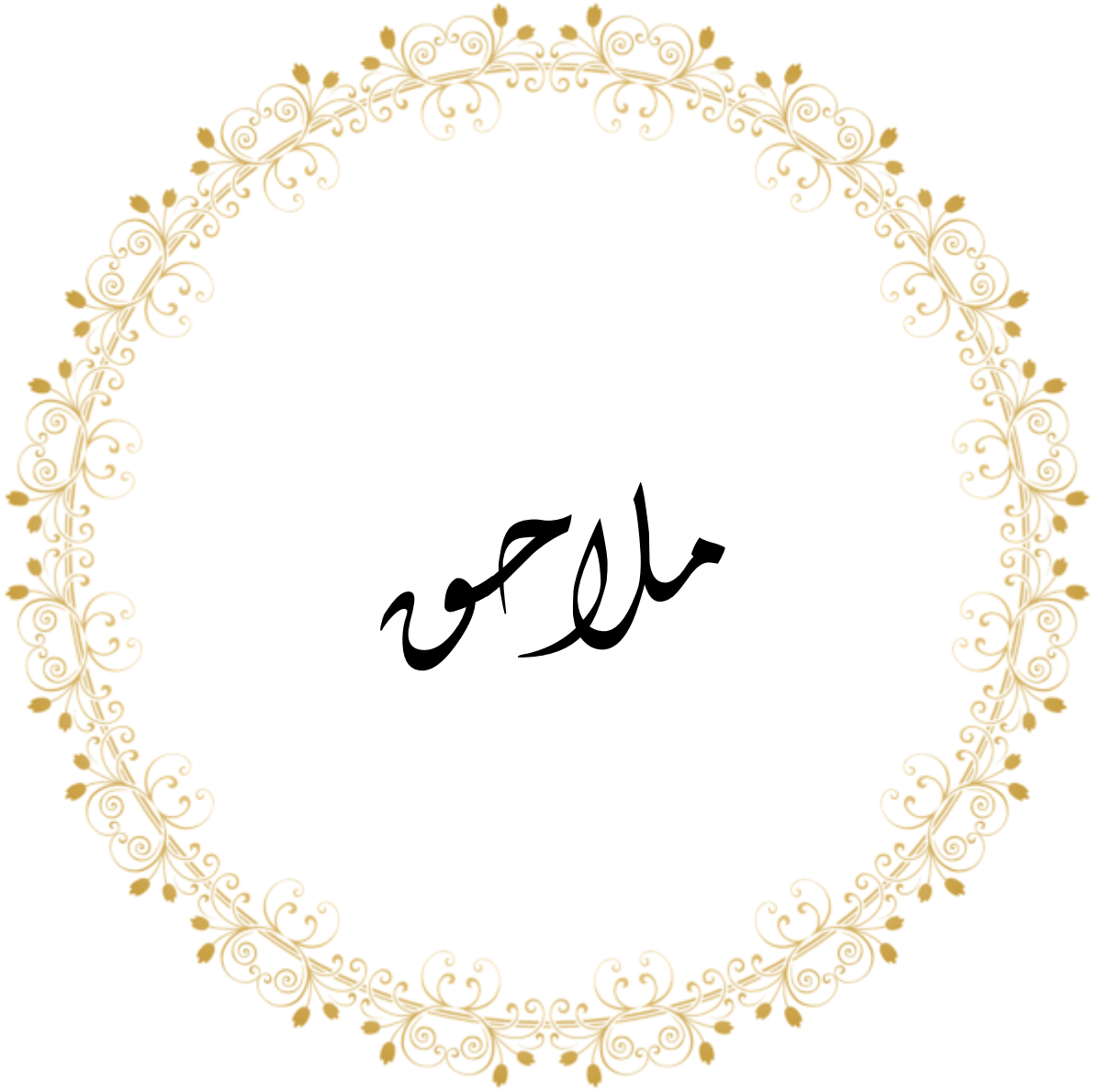
23. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير رواه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث 7727 وراه ابن القيم في زاد المعاد 1414-1993.
24. محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط8، بيروت، لبنان، 1995.
25. محي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، تصوير دار صادر، بيروت عن مطبعة بولاق، القاهرة 1293، ج4.
26. مسعود خليل: الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، 1964.
27. مسعودة العريط، سردية الفضاء في الرواية النسائية المغاربية.
28. مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ط1 ج4، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء الكتب العربية عيسى الحلبي 1374.
29. المكان في الرواية العربية، غالب هلسا عن كاتب الرواية واقع و آفاق، دار الرشد للطباعة والنشر، ط1، (د،ت)، بيروت.
30. نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن الكريم عند محي الدين ابن عربي، ط2، ج4، المركز الثقافي العربي 2003.
31. واسيني الأعرج: الأصول التاريخية الواقعية الاشتراكية في الأدب الروائي الجزائري، ط1، دار الكتاب الحديث، 1988.

رابعاً: المذكرات والرسائل

32. محمد صديق حسن عبد الوهاب: الصّحراء في العصر الجاهلي، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، قسم الدراسات الأدبية والفنية، 2017، 2018.

خامسا: المجلات والدوريات

33. جريدة الحوار، 28 أغسطس 2022.
34. حميد عبد القادر، مقال حضور الصحراء في الرواية الجزائرية، الاحتفاء بالإنسان على ذرات الرمل لحميد عبد القادر، 29 أبريل 2018



ملاحق

أولاً: تقديم الرواية (ملخص الرواية)



رصد الكاتب عبد الله كروم في روايته "الطرحان" تفاصيل معاناة أبناء منطقة توات (أدرار) في فترة الاستعمار الفرنسي في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي وهم المتعينون جراء ممارسات غير إنسانية من الاستعمار الذي سحقهم بالاستغلال والنفي في الوطن والأهل والحببية.

والطرحان هو خيلة ربوية يتم من خلالها رهن ممتلكات مقابل اقتراض مبلغ من المال أو حتى حفنة من الغذاء وفي حالة العجز عن التسديد يلجأ صاحب القرض بأخذ هذه الممتلكات، لأن الاستعمار يهدف من وراء هذه الحيلة أن ألا يكون المال دولة بين الناس، لذا عمل سكان توات خارج قريتهم حتى لا يسخروا ما يملكونه.

فالشخصية الرئيسية في هذه الرواية ويدعى "السباعي ولد النجوم" عجز عن سداد الدين فاضطر للقرض من صهره النعيمي وفق قانون الطرحان، فجدته الكعوي وأبنائه الثلاث جمعهم بيت واحد مع أسرهم وبمجرد موت الجد طفى على السطح الصراع الخفي بين أبناء العم حول الورث خرج السباعي من هذه الدائرة ليقرر هو واصدقائه مسعود ولد الدهاجي المكنى (بازا) وهي الكلمة التي نطقت بها شفتاه بحثا على الخبز في سنواته الأولى - والحساني الهصره عن التوات والسعي في عوالم اخرى فترك خطيبته الياقوت ورحل الى الفيتنام فقدت الأخيرة عقلها لتهميم في شوارع توات باحثه عنه، ليعود بعد سنوات طوال بزوجة فيتنامية أما خطيبة بازا فأصبحت نزيلة في أحد بيوت الدعارة، وخطيبة ثالثهم رمت بنفسها في بئر لتتجو من أحد الفرنسيين الذي أراد الظفر بها.

وعند عودتهم إلى أرضهم وجدوا أنفسهم رغم اختلاف وجهتهم دروعاً بشرية للمستعمر الفرنسي الذي عاث فسادا في وطنهم آنذاك، فأصبح الأول فاقدا للرجل اليمنى والثاني فاقد للسمع من الأذن اليسرى، ليكون العرج من نصيب ثالثهم.

عمد عبد الله كروم من خلال هذه الشخصيات عن الإفصاح عن منسيات وحقائق مدفونة في الصحراء الخوف والظلم والموت وجهد على أن تفتح في تفاصيلها على فضاءات ثقافية أخرى، كالثقافة والأدب الفرنسي والثقافة الفيتنامية، للبحث عن مشترك بعيدا عن مشاريع الاستغلال والمشروع الفرنسي.

قراءة في كتاب:

عنوان الكتاب: الطرحان.

المؤلف: عبد الله كروم

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: أكتوبر 2023 م.

الصنف: آداب

مصمم الغلاف: حمدي بن دالي الحجم 19/11.5

عدد الصفحات: 224.

اختار مصمم الغلاف الواجهة منظر طبيعي يعبر عن جمال الصحراء من شمس الساطعة ونخلة باسقة ورجل يمشي بين كتبانها.

ورسمت الواجهة بشهادة حق على هذه الرواية من طرف الناقد والأديب والمترجم: السعيد بوطاجين والذي قال فيها: "لا يحدث أن أعيد قراءة اللصوص إلا عندما تكون مثيرة، مؤثثة معرفيا وضاغطة، وقد تكون رواية الطرحان للكاتب عبد الله كروم من هذا النوع الذي يتعذر القفز عليه".

وفي أعلى الواجهة وضع ختم تميزها عن نظيراتها من الروايات الأخرى كتب عليه تحصلها على: جائزة آسيا جبار للرواية 2022. الصفحة الأخيرة وضعت صورة المؤلف عبد الله كروم والتعريف به: أكاديمي وقاص وروائي جزائري، وكتب على الصفحة وعبر

بقلمه وتوقيعه ما تختلج به نفسه عن مآسي قريته فكتب: "قصتنا يا سادة قصتنا يا سيادتنا المنسية بين حروف التاريخ وتضاريس الجغرافيا، فالتاريخ استثنائها وسقطت من سجلاته، لأن التاريخ يكتبه الأقوياء فقط وقريتنا طواها الزمن وغمها الهزال، فجفت عن حكايتها الأقلام، وكذلك فعلت معها الجغرافيا التي لهلتها كثيرًا، وعفت على رسومها المدرسة، ولم تحفظ لها وجودًا حتى ركنتها في زوايا النسيان، وحتى ذلك السفر (نقل الرواة فيمن أبدع قصور (توات) الذي عقب عمن أنشأ قصور توات الطينية، وحفر عقاراتها، وبين قصباتها المعتقة، وحكى عن إنسانها الأول، لم ينقل لنا خبرا فيما روى عن قصور توات، ولم يكتب لنا عن تاريخها سطرًا، و لخطر ما جرى بها من محن جعلت غراب البين يعشعش في جحور أسوارها".

فهذه المقتطفة تلخص الأسباب والدوافع التي حفزته في كتابة هذه الرواية.

هذا ما يتعلق بالشكل الخارجي، أما الشكل الداخلي (المحتوى) فقد نسق الأفكار وبوّبها على ستة فصول (06) ترتبط كل فكرة بما تليها:

الفصل الأول: وقفت على أعجاز نخل خاوية.

الفصل الثاني: ريح هزت جذع النخل.

الفصل الثالث: رقاء الجوع الثلاث.

الفصل الرابع: كلما تقلم النخل سمق.

الفصل الخامس: فسيلة غرسها الأب وزكاها الجد.

الفصل السادس: ويبقى جذع النخلة صلبا لا ينحني للفلاح.



ثانيا: التعريف بصاحب الرواية

Nom: kerroum

اللقب: كروم

Prénom: Abdellah

الاسم: عبدالله

تاريخ الازدياد ومكانه: 1974/4/6 بزاوية كنتة

الشهادة العلمية: دكتوراه علوم

الدرجة العلمية الحالية: أستاذ محاضر (أ)

الوظيفة: أستاذ جامعي

البريد الالكتروني: kerroum197401@gmail.com

kerroum116@univ-adrar.edu.dz

رقم الهاتف: 0660490233

العنوان البريدي: حي 1050 مسكن رقم 13 تتيلان الجديدة أدرار

أولا: الشهادات غير الجامعية

- شهادة إنهاء الدراسة بالمعاهد التكنولوجية للتربية صنف. معلم المدرسة الأساسية بتاريخ:

1993/6/6

- معلم المدرسة الأساسية من 1993 /09/20 إلى 2012/10/1

مؤلفاته:

اسم المؤلف	عنوان الكتاب	دار النشر	دولة النشر	سنة النشر	عدد الصفحات
عبد الله كروم	الرحلات بإقليم توات دراسات تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات	دار دحلب للطباعة والنشر	الجزائر	2007	200
عبد الله كروم	حائط رحمونة (قصص)	دار مقامات للنشر والتوزيع والاشهار	الجزائر	2011	73
عبد الله كروم	مغارة الصابوق (قصص)	دار الكلمة للنشر والتوزيع	الجزائر	2016	125
عبد الله كروم	الطرحان	دار خيال	الجزائر	2022	244
عبد الله كروم	الرحلة بإقليم توات أعلاما واتجاهات	دار الدواية	الجزائر	2023	207
عبد الله كروم	القرآن وخطاب العقل	دار الدواية	الجزائر	2023	163
عبد الله كروم	التلقي التأويلي عند فخر الدين الرازي	دار الدواية	الجزائر	2023	165
عبد الله كروم	ملاحم التلقي في الأدب القديم	دار الدواية	الجزائر	2023	214
عبد الله كروم	التأويلية والسياق الحضاري	دار الدواية	الجزائر	2023	173



فہرست الامور ضوہ عمارت

فهرس الموضوعات

العنوان	
	شكر وعرهان
	الإهداء
أ	مقدمة
الفصل الأول	
الجزء النظري	
05	أولاً: مفهوم الفضاء
07	ثانياً: مفهوم الصحراء
13	ثالثاً: الفضاء الصحراوي
13	رابعاً: التجليات
18	خامساً: النفسية
19	سادساً: الرواية الجزائرية النشأة والتطور
الفصل الثاني	
الجنب التطبيقي	
23	المبحث الأول: تجليات الفضاء في الرواية
23	أولاً: الأماكن المفتوحة
24	ثانياً: الأماكن المغلقة
25	المبحث الثاني: تجليات الصحراء في الرواية
28	المبحث الثالث: التجليات النفسية في الرواية
42	خاتمة

45	قائمة المصادر والمراجع
50	ملاحق
56	فهرس الموضوعات
الملخص	

الملخص:

يحاول هذا البحث الموسوم بـ: الفضاء الصحراوي وتجلياته النفسية في رواية "الطرحان" لعبد الله كروم أن يجيب عن الإشكاليات التالية:

• الإشكالية الرئيسية:

– ما الصورة التي رسمها "عبد الله كروم" للصحراء؟

• الإشكالية الفرعية:

– أين تتجلى مظاهر الفضاء الصحراوي في الرواية؟

– هل وقع الروائي سجيناً لبيئته؟

إن الرواية الجزائرية رسمت لنفسها مكاناً خاصاً بين بقية الفنون الأدبية الأخرى، فهي أقربها التعبير عما يدور في النفس البشرية وصراعها مع الواقع المعيش، وهذا ما جعل الكاتب الصحراوي ينتمي لهذا الجنس الأدبي، لأنه وبحكم قساوة طبيعته وجفافها تكون له ملاذاً للتفيس عن مكونات الذات وما أمضته الطبيعة عليه، فتجلت على نفسيته، واتسمت بها وأنتجت علاقة بقواعدها وأسسها لتربط الفضاء الصحراوي بالتجليات النفسية، والتي رسمت لنا شخصية الرجل الصحراوي وما يمتاز به من صفاء وطيبة، فطنة وذكاء، كرم وقسوة، حب للوحدة والتماسك، تكافل اجتماعي، صبر وقوة تحمل، اعتزاز بالانتماء، تمسك بالعادات والتقاليد، وهي صفات فرضت على الشخصية تبعاً لميزة الفضاء أو المكان، وقد عمل الكاتب الصحراوي الأدراري الأصل عبد الله كروم على الإلمام بهذه السمات وإسقاطها على شخصيات وفضاءات روايته الطرحان

فكان لقرية توات حضور في عالم المبدع كروم الواقعي والافتراضي. حيث رسم شخصيات ثابتة ومتحركة أصبغت عليها الصحراء لونها ولباسها جعلتها متميزة في حركاتها وسكناتها.

الكلمات المفتاحية: الفضاء الصحراوي – التجليات النفسية

The Summary:

This research, entitled "The Desert Space and its Psychological Manifestations in the Novel 'Al-Tarhan' by Abdullah Kroom," attempts to address the following problematics:

- The main problematic:

- What image did "Abdullah Kroom" depict of his desert?

- The sub-problematic:

- Where do the manifestations of the desert space appear in the novel?

- Did the novelist fall as a prisoner of his environment?

The Algerian novel has carved out a special place for itself among other literary arts, as it is the closest to expressing what goes on in the human soul and its struggle with the living reality. This is what made the Sahrawi writer belong to this literary genre, because, by virtue of the harshness and aridity of its nature, it becomes a refuge for venting the self's secrets and what nature has imposed on it. His psyche manifested, characterized, and produced a relationship with its foundations and principles to connect the desert space with the psychological manifestations, which drew the character of the Sahrawi man for us and what distinguishes him in terms of purity, kindness, sagacity, generosity, astuteness, love of solitude and cohesion, social solidarity, patience, and endurance, pride in belonging, adherence to customs and traditions. These are qualities imposed on the character according to the feature of the space or place. The original Adrari Sahrawi writer, Abdullah Kroom, worked to familiarize himself with these characteristics and project them onto the characters and spaces of his novel "Al-Tarhan." Thus, the village of Tuat had a presence in the world of the creative Kroom, both real and virtual, where he depicted static and animated characters that were imbued with the desert's color and attire, making them distinctive in their movements and dwellings.

Keywords: desert space-psychological manifestations

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ